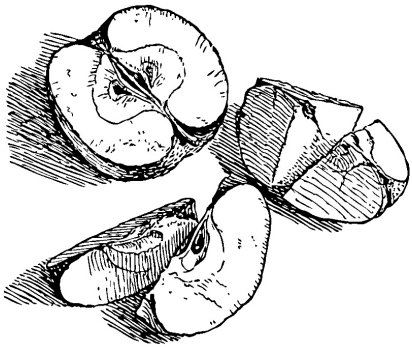

لعنة آدم

كل الحقوق محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 28536/ 2019

I.S.B.N: 978-977-6642-77-5

تصميم الغلاف: محمد دربالة.

الإخراج الفني: ضياء فريد.

المراجعة اللغوية: نهال جمال.

المديـــر العـام: إيناس ناصر.

المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

Logarithpublish@gmail.com

٠١٢٨١٠٥٢٨٢٤

لعنة آدم

رواية

هادى هُلَيِّل

إهداء

إلى عام ٢٠٢٧،

إلى برج إيفل حيث الوعد المنتظر،

إلى المستقبل.

إهداء

إلى أول من آمن بي وجعلني أؤمن بنفسي،
إلى روح أبي رحمه الله.

ها أنا بين يديك.. بعدما طال بحثك عني..

وحيدا أنت فتمنيتني.. فجأت لأسكنك..

أعلم أنك تشتهي جسدي ولكن الزمن كافي لتشتهي روحي أيضا.. وتلك أصعب الابتلاءات..

سأصير عالمك.. سترانى في كل من حولك..

سأغزو شمسك وضيائك.. وسأغدو ليلك وعتمتك..

أرى الضعف في عينيك.. فكفاك تظاهرا بالصلابة، وأعلن خضوعك وولائك..

فأنت لا تجيد سوى عشقي..

والآن.. مرحبا بك في عالمي..

فلقد أتممت عليك لعنتي.

اللحظات الأولى

الزمان: السابعة مساءً، اليوم المظلم، السادس من ديسمبر عام ٢٠٢٣.
المشهد: برد قارص وظلام دامس، ومطر غزير مستمر.
المكان: شارع جانبي ضيق، شارع محبوبته.
الهيئة: شاب في الثامنة والعشرين من عمره، متوسط الطول، ويقترب جسده من البدانة، شعره ناعم ولكن في طريقه إلى الانقراض، إلا أن ملامحه في حد ذاتها كانت وسيمة.
المظهر: مزرٍ إلى أقصى درجة، يده اليمنى مجبسة، وملابسه مبتلة بمياة المطر، وبيده الأخرى يحمل حقيبة يضعها فوق رأسه لتعمل كبديل لمظلة المطر.
الحال: يجري في الشارع في لهفة وذعر.
الهدف: الوصول إلى منزلها.

فلا بد أن يصل لها الآن؛ ليرى في عينيها قبل أن يسمع منها، أنها لن تتخلى عنه، يتمنى أن تخبره بكل جوارحها أنها لن تتركه وحيدًا أبد الدهر، وستظل بجواره حتى آخر العمر، مستحيل أن تهجره بعدما تعرف ما اقترفه لأجلها.

منزل حبيبته على بعد أربعة منازل فقط، ولكنه تعثر، فوقع واصطدم وجهه بالأرض المبتلة لتتسخ وجنتاه بالطين، وآلمته يده المجبسة بشدة، وارتعد جسده من فرط البرودة، وبجواره أرضًا استقرت الحقيبة، ويمكنكم تخيل كم تثير ملابسه الشفقة الآن!

ما زال أرضًا لم يحاول النهوض، ولم يبدُ عليه حتى الشعور بالغضب أو الإهانة، كل ما يشعر به هو الخوف مما ارتكب، والذعر أن يكون قد ارتكب كل هذا سدى.

مشاعره متلبدة، وقلبه محطم، ومعنوياته لا وجود لها، إنه ميت من الداخل، ووصوله لمبتغاه الآن هو الأمر الوحيد القادر على جلبه للحياة مجددًا، نعم، سيثبت لها أنه يستحقها، وسيرى هذا فورًا في ملامحها بمجرد رؤيتها لما بداخل الحقيبة.. لن تتركه مجددًا!

يعلم جيدًا أن فعلته هذه ضد مبادئه، ومهينة لكرامته، ولكن هذا لا يهم الآن، فهو على أتم الاستعداد للتضحية بكل شيء، حتى احترامه لذاته، مقابل أن يبقي عليها في حياته.. وحتى إن لم يظهر ذلك فهو يعلمه في قرارة نفسه.

أغلب الرجال يعلمون ذلك!!!

حاله الآن يدعو للسخرية، خصوصًا أنه قد تعثر أمام منزل صديقه.. صديقه (حازم) الذي لم يعد يعِش هنا من الأساس.

فصديقه (حازم) هو جار عشقه الوحيد، فهكذا قابلها من الأساس منذ عشر سنوات.. عشر سنوات قبل هذا اليوم المظلم.. عندما كان شابًّا صغيرًا على وشك الالتحاق بالكلية، ويقف أمام منزل صديقه منتظرًا إياه في يوم مشرق وجميل، والشارع وقتها -على النقيض- كان حيويًّا، فالأطفال تلهو والطقس منعش، حيث كانت اللحظات الأولى من قصتهما.. اللحظات الأولى في عشقهما,, حين مرت أمامه (سلمى) والتي لم يكن يدري وقتها أنها ستصبح له الأرض بمن عليها.

مرت من أمامه لافتة انتباهه، إنها جميلة للغاية، ورقيقة، و لكنها لم تنظر إليه.. تسير بطريقة عملية، خطوتها سريعة وتنظر فقط أمامها، عندما فجأة ضربتها الكرة التي يلعب بها الأطفال بقوة، فصرخت في فزع والتفتت للطفل في غضب هاتفة:

ـ مش تحاسب ؟!

رد عليها الطفل في لماضة:

ـ مش معايا فكة.

وتبعها بضحكات ساخرة هو وباقي الأطفال، فتجاهلتهم هي تمامًا لتكمل سيرها، ولكن طفلاً آخر أمسك الكرة وألقاها عليها عن عمد، فأصابتها في مؤخرة رأسها، فالتفتت في حدة لتراه هو يصيح بالأطفال، ويهجم عليهم، ففروا جميعًا في خوف تاركين الكرة، فنظرت إليه في امتنان، قائلة:

ـ شكرًا ليك، ما كانش له لزوم يعني.

انحنى يمسك بالكرة، ورد عليها وجمالها يمنعه من بلع ريقه:

ـ لا إزاي بس! دول زودوها وكان لازم اتدخل.

ابتسمت له، هامسة في خجل:

ـ متشكرة جدًّا.

وانصرفت مكملة طريقها، ومصابًا هو بخيبة أمل لأن الموقف بينهما انتهى بهذه السرعة، حتى أنه ألقى الكرة أرضًا في ضيق، لينتبه بعد ثوانٍ أن صديقه (حازم) يشاهده، فهتف في دهشة:

ـ إيه دا أنت نزلت إمتى ؟

ـ من وقت لما كان لازم تتدخل يا حيلتها.

رد عليه في هيام:

ـ شوفت القمر دي ؟!

ـ اه شوفتها يا (آدم)، شوفتها وعارفها وحافظها كويس كمان!

رفع (آدم) حاجبيه في دهشة:

ـ بجد ؟!

ـ طبعًا، دي (سلمي عصام) ساكنة في البيت دا.

قالها (حازم) مشيرًا إلى منزل يجاوره بثلاثة منازل، فظهر الحماس على (آدم):

ـ أنا شكلي هجيلك الشارع كتير الفترة الجاية.

أمسكه (حازم) ليسيرا مبتعدين، ورد عليه:

ـ أنت مش مضطر تيجي الشارع، أنا عرفت إنها داخلة معانا الكلية.

صاح (آدم) في فرحة وهو يسير بجانبه:

ـ هتدخل (إعلام) زينا ؟! أنا كدا بقا هدفي الأول قبل ما ادخل الكلية هي البنت دي، هوصلها يعني هوصلها.

لم يشاركه صديقه حماسه نهائيًّا، فقال (آدم) في توتر:

ـ في حاجة ولا إيه ؟ إوعى تكون مرتبطة!

هز (حازم) رأسه نافيًا:

ـ لأ هي مش مرتبطة، مش مرتبطة على حد علمي.

ثم أضاف في لوم:

ـ بس أنا ما كنتش أعرف إنك من اللي بيقضوها مع البنات وكدا.

ـ وليه افتكرت إني عايز أقضيها ؟ مش يمكن لو ربنا سهل اتجوزها ؟

رد عليه (حازم) في ذهول:

ـ تتجوز مين يا (آدم)؟! وبعدين دي أصلًا مش محجبة!

ـ وإيه المشكلة يعني ؟!

ـ لا بالنسبالي أنا دي مشكلة، أنا لما هتجوز لازم تبقا منتقبة زي أمي.

رد عليه (آدم) في حدة:

ـ آديك قولتها، بالنسبالك! إنما أنا اللي هتجوز مش أنت!

ـ خلاص ياعم اهدى كدا عليا، أنا ما قلتلكش تتجوز منتقبة، بس عالأقل تبقا محجبة لإن الحجاب فريضة، أنت مش مؤمن بكدا ولا إيه ؟

بدا عليه أنه لا يملك إجابة، ولكنه قال في توتر:

ـ اه بيتهيألي فريضة طبعًا.

صاح صديقه به:

ـ بيتهيألك ؟! أنت مجنون ؟!

ـ أنت عايز مني إيه يا شيخ (حازم)؟!

ضحك (حازم) في تهكم:

ـ أهو أنتوا كدا، تشوفوا الواحد بقا ملتزم تتريقوا عليه.

ضحك (آدم)، بينما أكمل (حازم) في جدية:

ـ بس فعلًا يا (آدم) أنت محتاج تاخد بالك.

حيرة على وجه (آدم)، فيوضح (حازم):

ـ أختك (رنا) دلوقتي في أولى ثانوي، ولحد دلوقتي لسه ما اتحجبتش.

هتف (آدم) في غضب:

ـ (حازم)، أنت هتعمل عليا شيخ بجد ولا إيه! وبعدين دي أختي أنا!!

احتوى (حازم) غضبه، قائلًا في هدوء وحب:

ـ الحق عليا إني معتبرها زي أختي أنا كمان؟ يا (آدم) أنت ووالدك هتتحاسبوا عليها، نصيحة أخوية، اتكلم مع والدك وخلوها تتحجب، عشانها وعشانكم.

ظهر الاستيعاب على وجه (آدم):

ـ ماشي يا (حازم)، هنشوف الموضوع دا بس بلاش تفتح معايا الحوار دا تاني.

رد (حازم) بلهجة لطيفة:

ـ خلاص يا عم ما تقفش كدا، دا احنا كلها إسبوعين ونبدأ حياتنا الجامعية مع بعض.

نظر (آدم) للسماء وتنهد قائلًا:

ـ قصدك هبدأها مع (سلمى).

ضربه (حازم) مازحًا، وضحك (آدم) و..

لماذا انخرط في هذه الذكريات القديمة الآن ؟!

فإن وضعه وهو ملقى أرضًا أسفل المطر في شارع محبوبته المظلم المتسخ، ليس وضعًا مناسبًا نهائيًا.

يجب أن ينهض ليصل إلى منزلها، حتى يتمكن من العودة سريعًا.. فالوقت ليس في صالحه ابداً!

نهض (آدم) بصعوبة ليتزن واقفًا، واقترب من الحقيبة الملقاة أرضًا وأمسكها بيده السليمة، ثم سار هذه الخطوات القليلة إلى المنزل، وصعد درجات السلم حتى وصل أخيرًا أمام باب الشقة المنشودة، وضع الحقيبة بجانبه حتى يتمكن من دق الباب، دق الباب دقات عديدة متتالية قوية، ففتحت له محبوبته التي شهقت من هول هيئته وظهر عليها الذهول، وهو يقول في توسل:

ـ الحقيني يا (سلمى).

في عام 2017 ظن (آدم) أنه أكثر أعوام عمره أهمية، خصوصًا في فصل الصيف بعدما استلم شهادة تخرجه من كلية الإعلام.

فقد مر عليه أربعة أعوام في هذه الكلية لم يشعر بهم!.. فصداقته

بـ(سلمى) منعته من الشعور بالوقت أساسًا، فلم يكتسب صداقات إلا القليل، فدائمًا ما كان معها.. ولكن الآن انتهت الدراسة التي جمعتهما لأعوام جميلة، وإذا أراد أن يعيش سعيدًا، بل إذا اراد أن يعيش! يجب أن يجعلها زوجته، ولكنه لا يثق أبدًا بقبولها لهذا الطلب، فتارة يرى الإعجاب في عينيها، وتارة لا يرى سوى تجاهل وملل.

إنه يعلم أنه ليس جذابًا لدرجة كبيرة، ولكنه ليس منفِّرًا في الوقت ذاته، ربما إذا اتبع نظامًا غذائيًّا والتزم بالذهاب لصالة الجيم، وأصبح يختار ملابسه بعناية، واهتم ببعض الأمور الفرعية الأخرى، سيكون جذابًا، ولكنه لن يصل إلى جاذبية شقيقه (سامي) أبدًا!

لماذا لم يخلقه الله (سامي)؟!

يصغره (سامي) بأربعة أعوام، وهو شاب رياضي، طويل، قمحي اللون، صاحب وجه سينمائي منذ نعومة أظافره، أنيق في ملابسه واكسسواراته، ولكن المثير للسخرية هو أن (سامي)، على عكسه، لا يحب، ولا يبدو عليه أنه سيحب قريبًا، أهذا لأنه يجد الكثير والكثير من الفتيات يتهافتون عليه ويحاولون الإيقاع به؟! ربما!

لا داعي للحقد على شقيقه، فهو مقبول، وإذا اجتهد ستزداد جاذبيته أكثر، وهذا ما سيفعله، فكل ما يريد هو أن يكون مرضيًا لمحبوبته.

اتصلت (سلمى) به، فأخرج هاتفه المحمول في شوق وأجاب:

ــ آلو، إزيك يا (سلمى)؟

ــ الحمد لله، إزيك أنت يا (آدم)؟ أنا قصاد بوابة الكلية أهو واستلمت ملفي، أنت فين؟ مش قلتلي عاوز تكلمني في موضوع مهم؟!

ـ أيوة أنا جايلك حالًا.

دقائق وكان معها، ومد يده يصافحها، فابتسمت هي قائلة:

ـ ألف مبروك التخرج يا سيدي، وألف مبروك التعيين كمان في قناة باباك.

ضحك هو قائلًا:

ـ ما تبقيش واثقة أوي كدا، بابا ما بيحبش الواسطة وممكن ما يقبلنيش في الشغل عادي.

سارت بجانبه:

ـ مهما كان مش بيحبها فأكيد هيشغل ابنه.

ـ أنا أساسًا السبب الوحيد اللي هيخلينى عايز اشتغل في القناة عنده، هو إنك هتبقي زميلتي في الشغل.

أدركت ما يعنيه فحاولت أن تخفي الفرحة وهي ترد عليه مندهشة:

ـ نعم؟! تقصد إيه ؟

ـ أنا كلمته عنك وإنك كنتي طالبة شاطرة وهيستفيد منك كتير في الشغل، قالي إنك تيجي يوم السبت في الإنترفيو عشان يشوفك، وأنا متاكد إنه هيقبلك لأنك فعلًا تستاهلي.

ردت هي في فرح و حماس كبير:

ـ بجد شكرًا جدًّا يا (آدم)، ما اتخيلتش إن هو دا الموضوع اللي أنت عايزني فيه.

أسعدته الفرحة التي رآها في عينيها خصوصًا أنه سببها، هو يعلم تمام

العلم أنها طموحة لأبعد الحدود، ودائمًا ما تأمل في الوصول لمكانة أرقى، حتى في سنوات الجامعة كان يظهر عليها ذلك بوضوح، خصوصًا أثناء حديثها عن مستقبلها، تنحنح قائلًا:

ـ في الواقع مش هو دا الموضوع.

ردت عليه في حيرة:

ـ اومال ايه يا (آدم)؟! قلقتني.

توقف عن السير ونظر بحنان في عينيها شاعرًا بالعديد من الاضطرابات، الحب والأمل، الخوف والارتباك، القلق والتوتر..

تلك اللحظة التي يعلن فيها الرجل لحبيبة عمره أنه يريدها هي لا سواها..

تلك اللحظة التي حلم بها مرارًا وتكرارًا وتمناها تكون مثالية..

سيخبرها الان.

استجمع شجاعته قائلًا:

ـ كنت عايز آجي.. آجي أكلم بابا.

ـ بابايا أنا؟! ليه خير.

وبترت عبارتها مدركة غباءها، فنظرت أرضًا في خجل عندما أدركت ما يقصد، وشعر هو أن ضربات قلبه تتسارع في سعادة وخوف، فأكمل ممسكًا يدها:

ـ عشان اطلب إيدك، عشان أكمل عمري لآخر نفس فيا معاكي، عشان والله ما عايز غيرك، دا حتى الكام سنة الي قضيناهم في الجامعة عينيا ما عرفتش تشوف غيرك؛ عشان بحبك.

رفعت نظرها إليه في حياء وسعادة، دائمًا تذهلها كلماته، عندما يتحدث عنها ولا تجد ردًّا يليق سوى الصمت.

عندما لا تجد كلامًا بداخلك يليق بما سمِعْته فاصمت، فالصمت حينها سيكون أبلغ من الكلام.

وجدته مبتسمًا يحاول السيطرة على قلقه الى أن تساءل في توتر:

ــ موافقة ؟

هزت رأسها موافقة في سعادة غامرة، فتنفس الصعداء:

ــ النهاردا أسعد يوم في حياتي.

سيذهب مع والده ليتقدم لطلب يدها الأسبوع القادم من والدها، وحمدًا لله فإن وضعه المالي جيد جدًّا، فوالده سيتكفل له بشراء الشقة وتجهيزها، وكل ما عليه هو أن يكون له دخل ثابت يكفل له حياة كريمة مع (سلمى) بعد الزواج، ولن يكون هذا أمرًا عسيرًا، ما دام أن والده هو (حسن غنيم) صاحب قناة يحلم الكثير من خريجي (إعلام) أن يعملوا بها، وهو لحسن الحظ ابنه، بالطبع سيعمل بها! وسيجعل (سلمى) محبوبته تعمل بها، كذلك (حازم) صديقه.

فليساعد الله باقى طلاب الدفعة!

وكما توقع (آدم)، فلقد مرت المقابلة أفضل مما تخيل، وقبلت (سلمى) الزواج ووافق والدها بالطبع، ورحبت والدتها كثيرًا، وأعلنوا فترة خطوبة تمتد لعامين، ولكن بعد عامين كان الوضع مختلفًا تمامًا عن هذا الأسبوع اللطيف، فكعادة الدنيا، تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وتأتي الأقدار بما لا تشتهي قلوبنا، فتلك هي الحياة دائمًا وأبدًا.

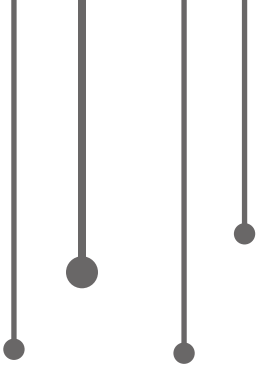

الطريق إلى جهنم مفروش بالنوايا الحسنة، فأحيانًا أجمل الأشياء أقبحها، وأكثرها صلاحًا أكثرها خرابًا.

الكبرياء قد يجعلك مغرورًا، والحرية قد تودي بك إلى الفوضى، والتدين قد يتحول إلى تطرف..

والحب قد يصبح لعنة!

حب مشروط

السادس من أكتوبر عام ٢٠٢٣،
قبل اليوم المظلم بشهرين..

«أنا (رنا غنيم)، خمسة وعشرين سنة، وأنا اللي هشتغل معاكم الـ (level) دا، ودي آخر مرة هتسمعوني اتكلم فيها بالعربي».

قالتها (رنا)، الفتاة الجميلة التي تملؤها الحيوية والثقة بالنفس، ويمكنك ملاحظة ذلك من تصفيفة شعرها الكستنائي المنساب في نعومة، وفي ملابسها العملية وطريقتها الجدية في الحديث، وهي تقف في هذه القاعة الصغيرة أمام عشرين طالبًا وطالبة، جميعهم فوق العشرين، وبعضهم حتى يتعدى الثلاثين من عمره، وقد ظهر على أحدهم غضب شديد، كانت له لحية صغيرة، ويرتدي ملابس بسيطة، ويحرك قدميه في توتر واعتراض على ما سمعه، فقال بصوت مرتفع:

ـ هو أنتِ الـTeacher؟

نظرت له (رنا) متأملة ملامحه قليلًا قبل أن تجيب باللغة الإنجليزية، أنها نعم هي المدرسة، فنهض في حدة وسط استغراب عام من الطلاب وقال في امتعاض:

ــ يبقى أنا آسف هضطر أسجل مع مدرس تاني.

لم تهتز (رنا) ولم تعقب، بينما عقبت طالبة أخرى في دهشة:

ــ حد يسيب مس (رنا) ويروح لمدرس تاني ؟!

رد عليها الرجل دون أن ينظر لها:

ــ ماهي دى المصيبة، إنها (مس)!!

توقعت (رنا) هذا الرد فضحكت ضحكة خفيفة في تهكم، بينما انصرف هو من القاعة إلى صالة الاستقبال في هذا المركز، واتجه ناحية السكرتير في حنق:

ــ لو سمحت لو سمحت، سجل اسمي مع مدرس تاني ويكون راجل لو سمحت.

توتر السكرتير وهو يقول:

ــ بس باقي المدرسين يا فندم بدؤوا من يومين خلاص، كدا هتبقا متأخر عنهم بحصة و..

قاطعه الرجل في حزم:

ــ يبقى جت منكم، هاتلي بقى الاشتراك بتاعي، أنا كنت دافع ألف جنيه.

زاد الارتباك على وجه السكرتير وهو يقول:

ـ للأسف ما ينفعش يا فندم.

كان يوجد بعض الشباب، طلاب ومدرسين في المكان، ينظرون في ترقب للرجل الغاضب، وهو يصيح:

ـ هو إيه اللي ما ينفعش؟! أنتوا نصابين ولا إيه!

صُدم الرجل، عندما أتاه من خلفه صوت أنثوي يرد عليه في حزم وشدة على الرغم من نعومته:

ـ نصابين مين يا متخلف أنت؟

ذُهل عندما التفت لها فوجدها (رنا)، فلم يكن مستوعبًا عنف ردها، وشعر كل من في المكان بالإثارة من حساسية الموقف، ولم يدرِ الرجل كيف يرد على هذه الإهانة، فعاد يلتفت للسكرتير هاتفًا:

ـ فين مدير المكان دا؟! هاتهولي فورًا.

عادت (رنا) تقول بنفس اللهجة وزادتها تهكمًا:

ـ أنا شتمتك على فكرة! ولا أنت ما بتردش على ستات؟ يعني أشتم براحتي؟! طب أنت يا مهزق.

خرج الرجل عن أعصابه وكاد يهجم عليها، إلا أنه وجد فردي أمن يمنعانه، وظلت هي ثابتة لم تتحرك مبتسمة في هدوء، حتى ظهرت فجأة مديرة المركز فالتفت الجميع لها وهي تقول بصوت قوي متسلط في استنكار:

ـ إيه اللمة دى؟! الأساتذة بعد إذنهم كل واحد في قاعته، وحضرات الطلاب كل واحد بعد إذنكم في قاعته.

تحرك الجميع ما عدا (رنا)، والرجل، وفردي الأمن، فأشارت لهما المديرة قائلة:

ـ ماسكينه كدا ليه؟ سيبوه!

تركه فردا الأمن، فقال في صرامة:

ـ أنا قلت عايز المدير حالًا! وعاوز الألف جنيه الاشتراك بتوعي.

ردت عليه في جدية:

ـ معاك مديرة المكان، اتفضل إيه شكوتك؟!

رفع حاجبيه في استنكار، والتفت للسكرتير:

ـ حتى المكان كمان مديرته ست؟ أنا عايز الاشتراك بتاعي حالًا عشان امشي من المكان دا.

قامت (رنا) بيدها بإشارة ناحية أذنها تصفه بالجنون ساخرة منه، بينما قالت له المديرة في أدب بالغ:

ـ طب ممكن حضرتك تعرفني إيه مشكلتك لو نقدر نحلها، وبعدين فين المشكلة في إن المديرة واحدة ست؟

نظر إلى الأرض في غضب محاولًا تفادي النظر إليها:

ـ لا اله إلا الله، يا ستي لا تعرفيني ولا اعرفك، اديني اشتراكي عايز امشي.

أشارت المديرة إلى السكرتير بأن يعطيه ثمن اشتراكه، فناوله السكرتير ألف جنيه بالفعل، فاتجه للباب منصرفًا من تلقاء نفسه متمتمًا ببعض الكلمات مثل «آخر زمن» و«ربنا يتولانا»، فوجد (رنا) تضحك في تهكم

وتقول:

ــ ابقى اسأل كويس على المكان قبل ما تحجز فيه، أحسن يكون فيه ستات.

انصرف الرجل دون تعليق، بينما نظرت لها المديرة في حنق وقالت معاتبة:

ــ ما فيش فايدة فيكي يا (رنا)؟!، لازم تعملي دماغك بدماغ أي حد عاوز يعمل مشكلة ؟

ردت عليها في دفاع عن النفس:

ــ منا لو سكت هيفتكر أنه معاه حق وإن سكوتي ضعف.

مطت المديرة شفتيها وهزت رأسها في استسلام، وعادت (رنا) تدخل القاعة المخصصة لها، وابتسمت للطلبة، وهي تحرك نظرها بينهم، وشدت قامتها في ثقة، قائلة باللغة الإنجليزية:

ــ يلا نبدأ.

في غرفتها جلست الفتاة الجميلة الرقيقة (دينا) تشاهد بعض الفديوهات على حاسوبها الذي وضعته بجوارها على سريرها، واستلقت هي تشاهد في تمعن، فعلى الشاشة كان يقف شاب نحيف له لحية ويرتدي قميصًا وسروالًا، ويتحدث في حماس ممتزج ببعض الغضب:

ــ دلوقتي جرب تنزل الجامعة وشوف بنفسك في كام بنت محجبة ؟! هتلاقي أكتر من سبعين في المية بشعرهم عادي! والنقاب شبه اختفى!

طب والله والله على أيامي لما كنت في الجامعة من خمس سنين كان معظم الطالبات محجبات، وكانت اللي بشعرها دي بتتكسف تمشي كدا في الجامعة؛ عشان هي عارفة كويس مدى الذنب اللي هي بترتكبه!

«أنتِ مشغلة الجدع المستفز دا ليه؟!»

انتفضت (دينا) في هلع وأوقفت الفديو، والتفتت لشقيقتها (رنا) وقالت:

ـ إيه يا بنتى خضتيني!

ـ ما جاوبتيش على سؤالي برضه.

ـ وفيها إيه لما اتفرج على العريس اللي جاي يتقدملك النهاردا؟! مش برضه عشان اشوف ينفعلك ولا لأ؟

ضحكت (رنا) في استخفاف وقالت:

ـ ولقتيه بقا ينفعلي ولا لأ؟

ترددت (دينا) قليلًا قبل أن تجيب:

ـ هو زي العسل والله، وكمان متدين ومحترم، أنتِ بس اللي دماغك جزمة وعايزة واحد يقولك اقلعي!

ردت عليها (رنا) في سخرية:

ـ طب ما إيه رأيك لما يجي يتقدملي النهاردا أقوله يتجوزك أنتِ؟! أنتِ محجبة ومتدينة زي ما هو عاوز، وهيريحك وهتريحيه، وهتسمعي كلامه، وهتبقوا مبسطوين مع بعض!

دخل عليهم في تلك اللحظة شقيقهم الوسيم (سامي)، وقال:

ـ صباح الخير عليكوا يا بنات، مين الشاطرة فيكم اللي هتعملى فطار قبل ما انزل الجامعة؟

قالت (دينا) في استهزاء ضاحكة:

ـ قال يعني بتنجح! دا أنت بقالك ست سنين في تالتة تجارة.

ظهر على وجهه الغيظ وهو يرد عليها:

ـ سنتين بس على فكرة! وبعدين مين طلب منك أنتِ حاجة؟ (رنا) حبيبتي اللي هتحضرلي الفطار، صح يا (رنا)؟!

ضحكت (رنا):

ـ عشان خاطر الكلمتين الحلوين دول بس.

قالتها وغادرت هذه الغرفة إلى ردهة المنزل الذي يدل على شخصية صاحبه المميزة وذوقه الرفيع.

حائط كبير تتوسطه شاشة تليفزيونية، محاطة بصور لأبرز الشخصيات المصرية أصحاب البصمة المميزة في التاريخ المصري السياسي والفني والحضاري.

فها هو (جمال عبد الناصر)، و(عبد الحليم حافظ) و(نجيب محفوظ) وغيرهم..

وأمام الشاشة يوجد أنتريه أنيق، يستند إلى حائط، معلق عليه برواز لآية الكرسي..

بالمنزل ست غرف، وعلى كل باب ملصق صورة لصاحب الغرفة، فعلى سبيل المثال على باب غرفة الوالد تجد صورة قديمة لوالدهم (حسن

غنيم) مع زوجته في حفل زفافهم.

خرجت (رنا) من غرفة (دينا) ودخلت الغرفة المجاورة، لتوقظ شقيقهم الأصغر (عمر)، وداعبت شعر رأسه:

ــ اصحى يا (عمر)، يلا عشان تفطر معانا قبل درس الفيزيا، يلا يا واد!

تثاءب (عمر) وهو يغمغم:

ــ لا أنا عايز اكمل نوم.

ــ النوم مش هيدخلك هندسة يا (عمر)!

قال وهو يضع الوسادة فوق رأسه متمسكًا بالنوم:

ــ وهم اللي دخلوا هندسة خدوا إيه يعني ؟!

«في أخ خامس ليكي اسمه (آدم) على فكرة!»

التفتت (رنا) لتنظر لشقيقهم الأكبر (آدم)، الذي كان قد دخل الغرفة وأكمل حديثه في ضيق:

ــ ممكن تعملي حسابي في الفطار معاكم برضه ولا ما ينفعش يعني ؟!

شعرت (رنا) بالإحراج:

ــ لأ ينفع طبعًا، وبعدين أنا ما شفتكش، لو كنت شفتك كنت هسألك تفطر معانا ولا فطرت.

ابتسم (آدم) محاولًا أن يصدقها:

ــ هحاول أصدقك يا عروسة.

ردت عليه في عصبية:

ــ عروسة إيه! صاحبك اللي جاي يتقدملي النهاردا دا مرفوض من

دلوقتي على فكرة، وصدقني الأحسن تخليه ما يجيش.

قال (آدم) في استنكار:

ــ هو أنتِ تطولي؟! دا بقى بيقدم برنامج ديني في قناة (النور) وبقى بيكسب كتير دلوقتي وهيعيشك في نعيم يابنتي، وكمان قمور وأنتِ عارفة إنه بيحبك من زمان!

ــ وأنا مش عاوزاه، لا عايزه فلوسه ولا حلاوته ولا حبه!

قالتها في حزم وغادرت الغرفة في صرامة، متجهة للمطبخ، وهي تغمغم في سرها:

ــ قال الشيخ (حازم) قال!

وسط زحام القاهرة، تحرك (سامي) قائداً سيارة جيدة النوع والمظهر، وبجواره شقيقه الأكبر (آدم) الذي كان يثرثر قائلًا:

ــ بحبها دي كلمة قليلة، حقك تقول كدا، ما أنت ما تعرفش يعني إيه حب أصلًا! الحب دا اللي بيخلي لأي حاجة في الحياة طعم، (سلمى) دي من غيرها حياتي ما لهاش لازمة أصلًا، طب تصدق إني ناسي معظم ذكرياتي من وانا صغير لحد ما قابلتها، بس فاكر كل موقف بينا كإني اتولدت يوم ماشوفتها، صدقني مش هتحس بمعنى السعادة إلا لما تـ..

قاطعه (سامي) في استخفاف:

ــ إيه ياعم الحنين حيييلك حيييلك، ما أنا ما بحبش أهو ومبسوط عادي وما فيش حاجة ناقصاني خالص، لازمتها إيه الأفورة دي؟!

ـ أنت ما بتحبش عشان حيوان! لأ لأ، دا حتى الحيوانات يا أخي بيحبوا!

ـ أنا شايف إن الحب اللي زي حبك دا ضعف، أنت مش قادر تعيش من غيرها وشايف إنها لو سابتك هتعيش تعيس، واهو آديك خاطبها، ومع ذلك دايمًا مش مستريح، لإنك علطول حاسس إنها مش بتحبك بنفس الطريقة الي بتحبها بيها، اللهم شوية اللحظات الحلوة والرومانسية والنحنحة وبس!

ـ أهي اللحظات دي بالدينا كلها.

ـ أنا عارف إن ما فيش فايدة فيك.

ـ أنت اللي ما فيش فيك رجا.

ـ يا ابني افهمني، أنا يوم ما أحب، ودا مستحيل أصلًا، هبقى عايز واحدة تقبل عيوبي قبل مميزاتي، تحبني زي مانا ما تحاولش تغير فيا حاجة، أطمن إنها عايزاني قد مانا عايزها، مبقاش متوتر واحاول أجمل في نفسي قدامها، واخاف لتمشي، الحب اللي بجد ما حدش فيه بيمشي، الحب الي مليان خوف وما بتبقاش فيه على طبيعتك دا ابتلاء، دايمًا هتحس إنك الطرف الضعيف، ودايمًا هتبقى ا...

فهم (آدم) المغزى من كلام شقيقه وما يلمح له، فقاطعه متصنعًا الضحك قائلًا في مرح:

ـ إيه يا عم (سامي)؟ هنفضل نتكلم عن الحب وأنت ولا عمرك هتحب أساسًا، ومش هنروح نشوف مصالحنا؟.. بالليل يا سيدي نبقى نشوف الموضوع دا على رواقة، أنت بقيت بتتكلم شبه ابوك!

قالها ووضع سماعة الأذن في أذنيه، معلنًا نهاية الحوار الذي لمس وترًا حساسًا داخله.

لم يكن غبيًّا يومًا ما، ولكنه يتغافل عن عمد، دائمًا ما كان يتمتع بالذكاء الكافي ويعلم تمام العلم أن أخاه صادق معه في كل شيء، ولم يكن في انتظار تلك الكلمات ليفهم علاقته بها، هو على يقين أنه الطرف الأضعف لا محالة، يحاول جاهدًا الحفاظ عليها دون مجهود من الطرف الآخر، ولكن ماذا بيده ؟! فهو لا يخشى شيئًا كما يخشى خسارتها.

خسارتها بالنسبة له هي خلو تام للروح والعقل من مسببات الحياة..

نهايته هو أن يكون بلا (سلمى)!!

دعني من كل ذلك؛ فهي لا تزال معي، تحيا بجانبي، لذا أنا راضٍ بأي شيء وكل شيء!

نعم، استطاع قلبه أن يهزم عقله في بضع كلمات عن جدارة واستحقاق، معلنًا عن سلام داخلي مزيف لفترة مؤقتة.

مسكين يا (آدم)، يا بن آدم.

اعتدل في جلسته في مقعد السيارة، وأغمض عينيه مستمعًا لأغانيه المفضلة لـ(عمرو دياب)، الذي يذوب في رومانسيتها ومشاعرها متخيلًا (سلمى)، ولكن للأسف بدأت أغنية بائسة، أو على الأقل يراها هو كذلك، فأجبرته على العودة بالذكريات لأربعة أعوام مضت، لعام 2019.

كان يعيش وقتها أسعد لحظات حياته، فكل شيء كان كما يُفترض به أن يكون.. مرت عليه سنتان يعمل في قناة والده مع محبوبته.. وأجمل ما في الأمر أن الجميع كان يخشاه حتى مديره؛ نظرًا لأنه ابن مالك القناة.

كان هو المسؤول عن المونتاج الفوري أثناء الحلقة، أي أنه المسؤول الأول عن كل ما تراه على الشاشة أثناء عرض البرنامج على الهواء، بينما تألقت (سلمي) في مجال المراسلة والتقارير العامة من قلب الحدث، بينما اتجه (حازم) للعمل في البرنامج الديني في القناة كمساعد لمقدم البرنامج.

كان كل شيء على أكمل وجه، والآن هم في نهاية عامي الخطوبة، فقريبًا سيعلنوا موعد الزواج، ولكنه استيقظ على خبر مفزع أخبرته به (رنا) شقيقته وهي تبكي، لقد تم القبض على والدهم للتحقيق!

لم يكن الأمر يدعو للقلق لهذه الدرجة، فقد اعتاد والده المساءلة القانونية؛ نظرًا لمعارضته الشرسة للنظام حينئذ، وخلفيته اليسارية الناصرية، ورغبته في الكشف عن الحقائق، والتقارير المرعبة التي كان يعرضها على شاشته من قلب الأحياء والمساكن الشعبية، وإظهاره لمعاناة الفقراء التي تتزايد يومًا بعد يوم، وكشفه لفساد بعض الوزراء ورجال الأعمال.

ولكن الأمر كان مختلفًا هذه المرة، فلم يكن تحقيقًا عاديًّا سيمر مرور الكرام، فلقد لُفقت له تهمة التهرب الضريبي من أعداءه بكله تأكيد.

إنهم يعرفون والدهم جيدًا.. التف أبناؤه الخمسة حوله ودعموه، ولكن رأيهم لم يكن مهمًّا أبدًا أمام ما أثبتته الأدلة والمستندات.. جميعها مزيفة بالطبع.. لقد أسقطه أعداءه الفاسدون بالتأكيد، لما سببه من توتر داخل الحياة السياسية في الدولة، مما شكل خطر على استمرارهم.

كان الأمر واضحًا من البداية كالشمس في وقت الظهيرة، حتى من كان

يحبه ويؤيد قناته (الصوت الحر) كان يعلم أنه سيغادر الحياة السياسية يومًا ما!

((للأسف لا زال أمامنا الكثير لندفعه حتى نصل لمثل هذه الديمقراطية وتقبل جميع الآراء وتسليط الضوء على كل مشكلات الوطن دون خوف))

لتكن هذه آخر أقواله المهنية.

غادرها في سلم وهدوء تاركًا بعض (الهشتاجات) على مواقع التواصل لبضعة أيام قليلة، وكافأه الشعب الذي كان يدافع عنه، بجعله الـ(ترينـد) الأكثر تصدرًا لمدة ثلاثة أيام كاملة، قبل أن يحل مكانه خبر سقوط فستان الممثلة المشهورة!!

لقد تجاوز الشعب أمره سريعًا، ربما لأنهم وجدوا أنه لم يعد يجدي شيئًا!

ولكنه كان راضيًا، صامدًا.

حكمت المحكمة بدفع كل ما تهرب منه من ضرائب، بالإضافة لغرامة التهرب نفسها بالطبع، أو الحبس، فكلفه هذا كل ما يملك لتفادي الحبس.

باع القناة لرجل أعمال وإعلامي مشهور يُدعى (حسام دياب)، الذي غير اسم القناة إلى (المستقبل)، وأبقى على القليل من العاملين في القناة، بما فيهم (آدم) و(سلمى)، ولكن (حازم) لم يكن سعيد الحظ مثلهما، فقد لغى (حسام دياب) البرنامج الديني من الأساس، وبالتالي الطاقم الديني بالكامل.

اتجه (حازم) وقتها إلى العمل في قناة (النور)، وأخذ يثبت جدارته مع الوقت، حتى أصبح له برنامجه الخاص في الوقت الحالى.. ولكن دعنا من الوقت الحالي.. فإن وعي (آدم) ما زال في ذكريات عام ألفين وتسعة عشر، حينما أفلس والده والتزم المنزل، وتبدل حال الأسرة تمامًا، من الثراء الفاحش إلى حال متوسط، بل هو أقل من متوسط.. وكانت صدمة بكل المقاييس.. وبالطبع تم تأجيل زواجه ومد فترة الخطوبة إلى أجل غير مسمي، فلم يعد والده قادرًا على منحه ما وعده به للزواج.

خرج (آدم) عن أعصابه أمام والده حينها في غرفته وقال في عصبية:

ــ كان لازم تعرف يا بابا إنهم هيعملوا فيك كدا، وكلنا حذرناك من دا.

رد عليه والده في رزانة:

ــ الله أعلم يا (آدم) مين السبب في اللي حصل دا.

ــ لأ إحنا عارفين كويس يا بابا، أكيد حد من رجال الأعمال اللي كنت ماسكهم بهدلة في قناتك طول اليوم، أو وزير من الوزراء اللي كنت بتهاجـ..

يقاطعه الوالد في حنق:

ــ أنا مش بحب أتهم حد من غير دليل يا (آدم)، لو هتغلَّط حد غلطني أنا، كان لازم أجيب محاسب قانوني عنده ضمير أكتر من كدا.

يسأل (آدم) في حيرة:

ــ أنت شايف إنها ممكن تكون غلطته ؟!

ــ الورق اللي كان في القضية كان سليم وجايبينه من القناة من

عندي، ودا معناه إن اللي لفقلي التهمة عشان يخلص مني استعان بالمحاسب القانوني بتاعي عشان يزور في ورق القناة.

يرد (آدم) في عصبية:

ــ في النهاية دا بسبب اللي كنت بتعمله في القناة يا بابا، أعداءك كتير، وما اعرفش كل دا كان عايد علينا بإيه بس! ما كنا نشتغل زي باقي القنوات ونعارض وننتقد بس بعقل.

يصيح به والده في غضب:

ــ أنا مش ندمان إني أفلست لو مقابل دا إني ما اتنازلتش عن مبادئي، وما خضعتش لحد، ولو تفكيرك أنت كله في الفلوس وبس يبقا عمرك ما هتقدر تفهمني.

زفر (آدم) في حنق وغضب مغمغمًا:

ــ يووه!

وانصرف (ادم) غاضبًا، لم يكن يحب مثالية أبيه ومبادءه وطيبته الزائدة عن حدها، ورغبته في أن يكون بطلًا، دائمًا ماكان مؤمنًا بأن الغاية تبرر الوسيلة، وبخاصة إذا كانت غايتك هي أجمل إنسانة على الأرض، بالطبع في عينيه.

لذلك كان كل ما يشغله هو المال، فبدونه لن يكون قادرًا على الزواج من (سلمى) في وقت قريب، ولكن ظهر على حبيبته تغير كبير بعد إفلاس والده، فلم تعد راضية به، وعندما حاول أن يطمئنها وهما جالسان في هذا الكافيه المتواضع قال:

ـ ما تقلقيش يا (سلمى)، مرتبي حلو من القناة وبحوش منه، والحمد لله إن (حسام دياب) ما قللش مرتبي عن اللي كنت باخده وقت بابا، وبعدين أكيد بابا هيقف على رجله تاني.

تململت (سلمى) قائلة في ضيق:

ـ امتى يا (آدم)؟! هيقف على رجله تاني امتى؟!

ـ ما اعرفش يا حبيبتي، بس أكيد هيحصل.

ـ أبوك حتى لو رجع وقف على رجله هيرجع بنفس طريقته القديمة، وهيوقعوه تاني!

لم يدرِ بما يجيب، وكل ما يريده أن يعطي لها بريقًا من الأمل تتشبث به، فأمسك يدها قائلًا:

ـ يا حبيبتي هو أنتِ فكرانا فلسنا خالص؟ احنا لسه عندنا أرض في البلد تساويلها أكتر من نص مليون جنيه.

جذبت يدها من يده، وهي ترد عليه معترضة:

ـ القناة كانت تساوي ملايين يا (آدم)!

عاد يمسك يدها وينظر في عينيها قائلًا:

ـ يا حبيبتي طالما بنحب بعض يبقى هنقدر نواجه كل الصعوبات دي، حبنا أهم حاجة في الدنيا.

لم يبدُ عليها أي استجابة واكتفت بهز رأسها، بينما استطرد وهو ما زال ينظر لها عاشقًا:

ـ أوعدك سنتين كمان وهنتجوز، أنا اعرف إنهم كتير، بس أوعدك

مش هيزيدوا عن كدا المرة دي.

وبالطبع لم يستطع أن يحافظ على وعده، فقد مرت أربعة أعوام أخرى وأين هو الآن ؟!

راكبًا بجوار شقيقه ذاهبًا للعمل في القناة التي كانت يومًا ملكًا لوالده.

خرج (آدم) من شروده عندما سحب (سامي) السماعة من أذنه قائلًا:

ــ آدينا وصلنا شغلك، الحمد لله هتنزل وتريحني.

قالها (سامي) وهو يقف بالسيارة أمام مبنى قناة (المستقبل)، فهبط (آدم) من السيارة قبل أن يسأله:

ــ هتروح على الجامعة أنت دلوقتي ؟

ــ لأ ياعم جامعة إيه؟ أنا كنت بقول كدا وخلاص، أنا هلف بالعربية شوية يمكن ربنا يرزق كدا بكذا توصيلة.

ظهرت فجأة (سلمى) من خلف (آدم) وتساءلت في مرح:

ــ "أوبر" ؟!

اندهش (سامي) من ظهورها، قبل أن يجيب:

ــ و"كريم" كمان وحياتك.

ضحكت (سلمى)، وتألقت عينا (آدم) وهو ينظر لها قائلًا:

ــ يلا بقى نطلع شغلنا ؟

ــ ماشي يلا بينا.

ثم لوحت بيدها لـ(سامي) وهي تنصرف مع أخيه، فهتف (سامي) لهما:

ــ سلام.

وانصرف بسيارته مغادرًا.

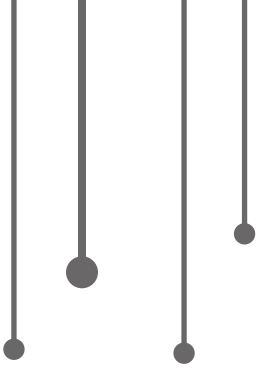

هل اختارها آدم لأنها الوحيدة؟
أم لأنها ظفرت بشيء ما من ضلعه جعله ناقصًا بدونها؟!

الحر يرفع إيده

هل يمكن أن يصف حياته بأنها سعيدة؟!

لا يدري، فالسعادة هي الوصول لما ترغب في دنياك، فإذا كنت لا ترغب في شيء من الأساس، فلا يمكننا أن نصفك بإنسان سعيد!

لم يصل يومًا للسعادة الكاملة، إنه أمر بدَهِي، فهو لا ينجز عملًا ولا يحقق هدفًا، ولا يشعر كذلك بالحزن، فلم يفقد شيئًا حارب من أجله.

إنه لم يحارب من الأساس، مجرد شعور بالتوهان يأتيه بين الحين والآخر، وسرعان ما ينتهي ويعود كما هو.

فكل ما يفعله (سامي) في يومه هو التجول بتلك السيارة الفاخرة لأنه يعشق السيارات، ولأنه ليس قادرًا على شرائها بالطبع فاضطر لتأجيرها، ولأنه أيضًا لا يقدر على سداد إيجارها الشهري، فاضطر لأن يجني منها مالًا، عن طريق القيام من خلالها ببعض المواصلات، عبر برامج التوصيل الذكي، وما يتبقى بعد دفع الإيجار يكون كافيًا لشراء بعض الملابس الجديدة أو خروجة مميزة مع أصدقائه أو دفع اشتراك

الجيم الشهري، لا يدخر مالًا أبدًا، فإن ادخار المال لهؤلائك اللذين يرغبون في أشياء.. وهو - كما ذكرنا مسبقًا- لا يرغب في شيء.

لا يتعجل حتى التخرج من كلية التجارة، فلم عساه يتعجل؟

وهذا بالتحديد ما قاله لصديقته (مي)، عبر مكبر الصوت بهاتفه، وهو يقود السيارة، فردت عليه في غيظ:

ـ يا (سامي) دي تالت سنة ليك في تالتة، لازم تتخرج بجد بقى!

ـ يا بنتي أنتِ مهتمة ليه إني أتخرج كدا؟! وبعدين أتخرج ليه أصلًا؟!

ـ يا لهوى، دا أنت عيل بارد فشخ!

ضحك قائلًا بلهجة جادة لكن بغرض المزاح:

ـ ما تحترمي نفسك شوية يا بت! أنا أكبر منك بتلت سنين.

ردت عليه في سخرية:

ـ طب قول لنفسك، مش عيب تبقى أكبر مني بتلت سنين، ولسة زميلى في الكلية؟!

ضحك هو من قوة ردها، قائلًا:

ـ كفاية جلد بقى أنا مش حِملك.

عادت تكمل مصرة:

ـ تعالى بقى أنا مستنياك اهو، مش هطلع المحاضرة من غيرك.

ـ يا بااااي عليكي! حاضر حاضر جاي.

ـ بجد؟!

ـ أيوة يا ستي جاي اهو ريحيني بقى.

ولم تمر نصف ساعة حتى كان بالجامعة جالسًا أسفل شجرة، وهي واقفة أمامه عاقدة ذراعيها وتتذمر:

ــ مش عايز تيجي ليه تقف معانا ؟!

قال في ضيق:

ــ ما ليش في جو الشلة وكدا، وبعدين ما عنديش قابلية الصراحة اتعرف على ناس جديدة.

جذبته لينهض قائلة في إلحاح:

ــ بلاش رخامة بقى وتعالى أعرفك عليهم.

نهض مستسلمًا:

ــ مش عارف ربنا هاديني ليه النهاردا كدا وبسمع كلامك! قبل كدا كنت بديكي على دماغك.

انفجرت ضاحكة:

ــ ولد عيب، دا أنا ماما، يلا قوم.

أخذته لمجموعة من أصدقائها واقفين أسفل مبنى بداخل الجامعة، وقالت لهم:

ــ جبتلكم (سامي).

التفتوا له، وعلق أحدهم في مرح:

ــ مش كنتي تجيبيلنا أكل.

نظر له (سامي) في استخفاف، وأشارت (مي) إلى فتاة جميلة بجواره، وقالت له:

ـ دي (ملك) صاحبتى الأنتيم، بحكيلك عنها كتير طبعًا.

عيناها سوداوتا اللون مثل شعرها الذي تصففه على هيئة (ذيل حصان)، وكانت قمحية اللون ذات جمال يلفت الأنظار، تقف في خجل مبتسمة في براءة لم تعد معهودة في أغلب الفتيات، وابتسم (سامي) إلى (ملك) في مجاملة، فبادلته (ملك) نفس الابتسامة، وقال (سامي) لها ليكسر الصمت:

ـ (مي) مصدعاني بقصصك والله.

بمجرد أن قالها شعر أنها أسخف ما كان يمكن أن يقوله، فقد ظهر على (ملك) الضيق والإحراج ولم ترد عليه، بما أشعره بشعور يجمع بين الندم والخجل، فقالت (مي) لتنهي هذا الحرج:

ـ يلا بقى نطلع المدرج زمان المحاضرة بدأت.

في حفل صغير داخل نادي النيل الراقي، وقف الشاب (أحمد) على المنصة متألقًا يتحرك في حيوية، ويقول بصوت مسموع للجمهور قبل أن يكون مسموعًا من خلال الميكروفون:

ـ النهاردا هغنيلكم أغنية جديدة لأول مرة، كلماتها بجد ممتازة، واللي كاتبها صاحبي على فكرة، أغنية عن الحرية، وهغنيها للأحرار فقط.

ثم صاح ليحمس الجمهور:

ـ كل اللي هنا أحرار، مش كدا؟

تفاعل الجمهور معه وأخذ يهتف بـ «أيوة» و«طبعًا»، فرفع المغني يده

عاليًا وقال بصوت أقوى:

ـ طب الحر كدا يرفع إيده.

رفعت (رنا) يدها وهي وسط الجمهور، وكذلك شقيقتها (دينا)، فهمست (رنا) في أذنها حتى تسمعها:

ـ بترفعي إيدك ليه يا بت، هو أنتِ حرة؟

قالت (دينا) في غيظ:

ـ أيوة حرة طبعًا، لو أنتِ شايفة حجابي مقيدني فدي مشكلتك!

ثم نظرت للمغني في إعجاب وتساءلت:

ـ هو (أحمد) مش كان صاحبك أيام الجامعة؟

أجابتها (رنا):

ـ أيوة يا بنتي ولسه صاحبي لحد دلوقتي.

قالت (دينا) في لهفة لم تستطع إخفاءها:

ـ بجد؟ طب ما تخلينا نسلم عليه.

ضحكت (رنا):

ـ حاضر حاضر بس بعد الحفلة، اسكتي بقى عشان نسمع الأغنية.

ابتدت الأغنية وبدأ (أحمد) يغنى مشعلًا الحفل، وظلت (دينا) تنظر له في هيام متفاعلة مع كل حركة وكلمة في الأغنية، حتى فصلتها (رنا) عن هذا الشعور، حينما قالت لها في سخرية بعد انتهاء الأغنية:

ـ ما ينفعلكيش على فكرة.

ـ هو مين دا يابت؟

ـ (أحمد)، إوعي تكوني فكراني مش واخدة بالي كل دا.

كانت على وشك الإنكار، إلا أنها أدركت أن الأمر واضح وضوح الشمس، فهتفت معترضة:

ـ طب وما ينفعليش ليه بقى إن شاء الله ؟

ـ (أحمد) متحرر جدًّا، وبيتخنق من المتدينين وبيشوفهم كلهم معقدين، وأنتِ محجبة ومتدينة وكمان بتروحي دروس في الجامع كل أسبوع!

ظهرت خيبة الأمل على وجه (دينا)، وتمالكت قوتها لترد في ثبات:

ـ يبقى طز فيه، خليه بقا يشوفله واحدة قليلة الرباية!

وهنا بدأ (أحمد) يغني أغنيته الثانية، وبدأ الجمهور يتفاعل مجددًا، وبذلت (دينا) قصارى جهدها حتى لا تصفق أو تندمج في أغنيته، حتى أنها حاولت أن تبعده عن نظرها، ونجحت في هذا إلى حد كبير، لكنها أبدًا لم تستطع أن تبعده عن بالها!

حرة، تعلم أنها كذلك حتى وإن رأت أختها العكس!

هل الأحرار هم من دون حجاب فقط ؟ هل الحرية تتعارض مع التدين والامتثال لأوامر الخالق ؟

إنها ليست متشددة على الإطلاق، وكل ما في الأمر أنها تنفذ بعض الأوامر التي غفل عنها معظم من هن في سنها.

الحرية شعور نابع من داخلك أنت، أن يكون رأيك وقرارك ومصيرك بيدك وحدك.. أن تعيش بلا خوف.. تفعل ما تحب وما تريد.. فقط لأنك

مقتنع به..

وهي مقتنعة بكل ماتفعله..

«ما حدش هيقدر يغيرني، أو يخليني اعمل حاجة مش عايزاها، عمري ماهبقى زيكوا، عمري!».

نأمل ذلك!

أنهى (سامي) المحاضرة وغادر الجامعة، ليركب سيارته المركونة أمام البوابة، وتحرك بها مغمغمًا:

ــ أتغدى فين النهاردا، أتغدى فين ؟!

تأمل المطاعم الكثيرة من نافذة سيارته في حيرة، وقطع حبل أفكاره صوت برنامج «أوبر» في هاتفه المحمول، معلنًا طلبًا لزبون يرغب في توصيلة.

ضغط (سامي) في ضجر زر «موافق»، ثم انتبه لاسم الزبون الذي ظهر على الشاشة، اتسعت عيناه في دهشة، إنها (ملك) صديقة (مي) التي أحرجها منذ ساعتين!

ستكون فرصة عظيمة ليعتذر لها.

عاد بالسيارة إلى بوابة الكلية مرة أخرى حيث موقعها، فركبت (ملك) في مؤخرة السيارة، ممسكة بهاتفها المحمول، وكان يبدو عليها الانشغال والضيق، فانطلق هو بالسيارة، وتساءل:

ــ على فين ؟!

ميزت صوته فورًا، وظهر عليها أنها لم تكن تعلم مسبقًا، حيث رفعت رأسها تتأمل ملامحه عبر المرآة في دهشة، فقال هو ضاحكًا:

ــ شكلك ما خدتيش بالك مني لما طلبتي الأوردر، كان زمانك لغيتيه.

قالت في لهجة عملية:

ــ حي الزمالك لو سمحت، هناك هقولك فين بالظبط.

شعر هو بالغضب بأنها أهملت ما قاله، ولكنه شعر أنه ربما عليه الاعتذار أولًا، فقال:

ــ أنا آسف على الجملة اللي قولتها، ما كانش قصدي حاجة يعني، أصلًا (مي) ما بتحكيليش حاجة عنك والله، ولو كانت بتحكي فأنا متأكد إن قصصك أكيد مش مملة ومستحيل تجيب صداع، حتى احكيلي حاجة تخصك كدا عشان اشوف.

ضحكت هي على الرغم منها، وقالت في تقدير:

ــ خلاص ما حصلش حاجة، أنا عارفه إنك ما تقصدش، بس (مي) بقى بتحكيلي عنك كل حاجة على فكرة.

شعر بالسعادة لا يدري لماذا، وهتف:

ــ بجد؟! يا رب بقى ما يكنش بيجيلك فعلًا صداع من قصصي اللي بتحكيهالك.

ضحكت في تهكم:

ــ لأ صداع إيه! هي قصصك كلها تتلخص في إنك شغال على العربية وبتسقط وبتروح الجيم، في حاجة تانية؟!

رد عليها في عصبية:

ـ هو أنتِ رخمة أوى ليه كدا؟

ظهر عليها الندم وهي ترد في جدية:

ـ أنا آسفه والله ما اقصدش، بس حبيت انتقم من الجملة اللي قلتها لي.

قال في ضيق:

ـ اومال إيه بقى اللي «ما حصلش حاجة» و«أنا عارفة إنك ما تقصدش»، دا أنتِ بتعبي بقى وقلبك أسود!

ابتسمت قائلة:

ـ خلاص بقى، أنا كدا خدت حقي وبقينا خالصين.

ـ ماشي يا ستي.

رن هاتفها المحمول، فظهر عليها التوتر.

تأملها عبر مرآة السيارة وهي تجيب عن المكالمة، قائلة عبر الهاتف:

ـ أيوة يا (خالد)، أنا في التاكسي مروحة من الجامعة... أيوة مش فاهمة لازمتها ايه كل الأسئلة دي؟!

زاد التوتر عليها، وظهر الضيق في ملامحها وهي تستمع للطرف الآخر، ثم هتفت في غضب:

ـ مش من حقك على فكرة!

وصمتت قليلًا وظهرت عليها قلة الحيلة، ثم قالت بحزن ممزوج بالرجاء:

ـ ممكن ما لكش دعوة بيا؟

مرت ثوانٍ ثم أبعدت الهاتف عن أذنها، واستنتج هو أن الطرف الآخر أنهى المكالمة، فألقت هي هاتفها بجوارها، وزفرت في حنق ممتزج بالخوف والتوتر.

شعر (سامي) أنها في ورطة كبيرة، فأراد التدخل.

شيء ما في فطرته الذكورية يحثه على مساعدة تلك الأنثى التي يبدو أنها تحتاج حقًّا إلى مساعدته.. سكت قليلًا قبل أن يقول في تردد:

ـ لو حد بيضايقك يا (ملك) ممكن تحكيلي وأنا هساعدك.

للأسف لم يكن الرد كما تمناه، حيث قالت في عصبية:

ـ لأ شكرًا.

وظلت صامتة حتى اقترب من منزلها، فأخبرته كيف يصل إليه تحديدًا، ثم نزلت قائلة:

ـ متشكرة.

رد عليها بصوت مبحوح:

ـ العفو.

خرجت هي من السيارة لتدخل منزلها الراقي، بينما ظل هو في السيارة حائرًا.

في مكان التصوير والتسجيل داخل الاستوديو، كان يقوم (آدم) بعمله في عصبية لاحظها جميع من في المكان، واقتربت منه (سلمى) خطيبته، قائلة في استخفاف:

ـ مالك مش طايق دبان وشك ليه كدا؟

ـ سيبيني في حالي.

ـ وبتتكلم معايا كدا ليه إن شاء الله؟

نظر لها في غضب:

ـ حضرتك سايبة الكائن الزفت اللي اسمه (حسام) دا يهزر معاكي بقلة أدب وواقفة تضحكي معاه وأنا ولا كأني واقف!

اقتربت منه وقالت بعصبية ولكن بصوت منخفض:

ـ بس يا غبي هيسمعك، وبعدين دا (حسام دياب)! دا صاحب القناة ومقدم أشهر برنامج فيها دا لو ما كانش في مصر، عايزني أصده؟

استفزه أكثر ما سمعه، فهتف بصوت مرتفع:

ـ هو عشان إعلامي مشهور وصاحب أم القناة تسيبيه يعمل اللي هو عاوزه؟

جحظت عيناها في غضب ولكنه لم يهمه، وابتعد عنها ليكمل عمله، ولكن غضبها جعلها تتبعه، وانحنت لتهمس في أذنه في لهجة صارمة قائلة:

ـ لأ يا (آدم)، مش عشان صاحب القناة يبقى يعمل اللي عاوزه، لكن عشان غني ومعاه فلوس، ويكون في علمك لو خطوبتنا اتفشكلت هيجي فورًا يتقدملي، وأنا هوافق طبعًا ومش هيهمني إنه أكبر مني بعشرين سنة، دا أنا هبقى مراة صاحب القناة ومن أشهر الناس في مصر، وهيخليني طبعًا أقدم برنامج في القناة أنا كمان، يعني جوازي منه هيضمنلي مش

بس الفلوس والسعادة، دا كمان هيضمنلي النجاح والنجومية!.. تقدر تقولي جوازي منك وأنت على حالك دا هيضمنلي إيه ؟!

وقعت كلماتها عليه جارحة، وشعر أن جسده سيقع أرضًا من عنف ما سمع، فنظر لها في رجاء، قائلًا في صوت ضعيف:

ــ مستحيل اللى بتقوليه دا يحصل، مش كدا يا (سلمى)؟ أنتِ بس بتقولي كدا عشان زعلتي من كلامي، لكن عمرنا ما هنسيب بعض؛ لإنك بتحبيني، والحب أهم من أي حاجة!

بدا عليها أنها تستمتع بوقع كلماتها عليه، وهي تنظر في عينيه بقسوة:

ــ طول ما أنت جبان وضعيف ومش عارف تاخد فلوسك من أبوك يبقى هيحصل وهنسيب بعض يا (آدم)، غصب عني وعنك، وساعتها ما تبقاش تلوم غير نفسك لما تشوفني بتجوز (حسام)، وافتكر ساعتها إن جبنك وضعفك اللي وصلونا لدا.

وانصرفت تاركة (آدم) يتألم ويشعر أن الدينا تدور من حوله، فحاول أن يتماسك أو يظهر أنه مشغول بما يفعل حتى لا يلاحظ أحد دموعه التي تسيل على الرغم منه.. من أين أتت بكل تلك القسوة والكلمات الموجعة ؟!

أنا لا أستحق هذا!

ألا ترى عشقي ؟ ألا تشعر به ؟!

بربك يا (سلمى)، بربك يا بنت ضلعي.

بعد انتهاء الحفل عادت (دينا) مع شقيقتها (رنا) سيرًا على الأقدام يتسامران، وقالت (دينا) في حنق:

ــ قلتيلي بعد الحفلة هنتكلم معاه واهو ما حصلش.

ــ أنتِ مش قلتيلي طز فيه ومش فارق معاكي ؟!

ــ وأنتِ مش قلتي إنه صاحبك وعادي نتكلم معاه! ولا هو عشان بقى غني وكدا ؟

ــ غني إيه بس يا متخلفة! دي نص حفلاته مجانية، وجمهوره هم بس اللي شفتيهم في الحفلة دول.

ــ يبقا بدأ يتشهر ونساكي.

استفزتها فأخرجت (رنا) هاتفها المحمول وقالت في لهجة طفولية:

ــ هوريكي.

ــ بتتصلي بيه ؟

ــ ايوة، يا ريت بس ما يكنش غير رقمه، أهو بيرن!

نظرت (دينا) لها في لهفة، وتحدثت (رنا) عبر السماعة الصغيرة الموضوعة في أذنها:

ــ آلو، أيوة يا (أحمد).

وصمتت لثوان ثم ضحكت ضحكة خفيفة وقالت:

ــ أيوة أنا (رنا)، كويس إنك ما مسحتش رقمي بقى، يا عم دا أنا كنت عايزة أسلم عليك بعد الحفلة بس ما لحقتكش، لقيتك ركبت عربيتك بسرعة ومشيت!

ـ أيوة أيوة ما أنا كنت في الحفلة.

في تلك اللحظة أشارت (دينا) لنفسها في حماس، وهمست لأختها بصوت منخفض، حتى لا يصل له الصوت:

ـ قوليله إني كنت معاكي.

أومأت (رنا) لها وأكملت:

ـ لأ دا أنا كنت جاية مع (دينا) أختي.. آه والله يا ريت نتقابل.. خلاص ماشي شوف أنت (سعيد) وهشوف أنا (سالي).. آه بكرة حلو.. قشطة اتفقنا.

وأنهت المكالمة، فهتفت (دينا):

ـ قالك ايه ؟

ـ زي ما سمعتي، اتفقنا نتقابل بكرة أنا وهو و(سعيد) و(سالي)، شلة زمان يعني.

ـ هاجي معاكي!

ـ يا بنتي ما ينفعش، هو أنتِ طفلة ؟! هقولهم إيه ؟ جبت أختي معلش في الخروجة اللي بقالنا سنين مخرجناهاش ؟! إيه السخافة دي ؟

ـ ما ليش فيه، اتحججيلهم بإني كنت معاكي في مشوار أو أي حاجة يا (رنا).. اتصرفي!

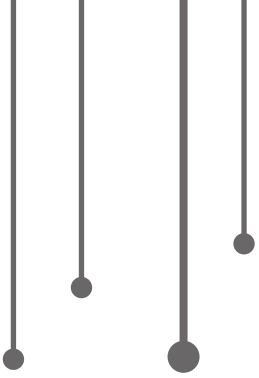

متى يتحول حبك إلى لعنة؟

احكيلي عن ماما

أغلق (عمر) باب الغرفة عليه، وألقى نفسه على فراشه أسفل هذه الإضاءة الخافتة، وقال عبر هاتفه المحمول في حب:

ـ وحشاني يا أحلي حاجة في الدنيا، وحشاني يا حبيبة قلبي.

ـ أنت واحشني أكتر.

ـ يا بت؟

تضحك في رقة:

ـ بجد والله واحشني أوي، ما أنت عارف إنك علطول واحشني يا (عمر).

سعادة طاغية على وجه (عمر):

ـ نفسي آخدك ونسافر بعيد لمكان ما فيهوش غيرنا.

فتح والده (حسن غنيم) باب الغرفة فتوتر (عمر) وظهر عليه الإحراج، ونظر لوالده قائلًا:

ـ عايز حاجة يا بابا؟

-إيه بتكلم مين كدا ياواد ؟

ــ دا.. دا (رامي).. (رامي) صاحبي.

ضحك الوالد، وهو يتأمل ملامح ابنه متلذذًا بهذا التوتر الذي بدى عليه:

ــ بس أنا ما اعرفش إن أنت و(رامي) عايزين تسافروا لمكان ما فيهوش غيركم!

احمر وجه (عمر) وتنحنح في إحراج، وسمع صوت حبيبته في أذنه تقول:

ــ يا لهوي دا سمعنا يا (عمر).

فرد عليها:

ــ أيوة يا (رامي) ما هو بابا سامعنا، بقولك إيه، اقفل بقى دلوقتي وهكلمك كمان شوية.

وأنهى المكالمة ونظر لوالده الذي ما زال مبتسمًا، وقال (عمر):

ــ دا (رامي) يا بابا وبقوله على المكان اللي نروح نستخبى فيه في اللعبة، (بابجي) يا بابا، عارفها ؟

رد عليه الوالد في تهكم:

ــ مش تقول كدا ياعم، وأنا اللي كنت فاكر إن اللعبة دي راحت عليها!

أدرك (عمر) أن والده بالطبع لم يبلع هذا الطعم الساذج، ودخل الوالد الغرفة مغلقًا خلفه الباب، وجلس على طرف سرير (عمر) الذي كان مرتبكًا وهو يسمع والده:

ــ أنت مش عايز تقولي ليه إنك بتحب يا (عمر)؟.. هو أنا يعني هقولك لأ؟

ابتسم (عمر) وقد قرر ألا يستمر في الإنكار، فنظر بعيدًا في خجل، وقال:

ــ يعني أصل ما حدش بيحكي الحاجات دي لأبوه.

تفهم الوالد ما يعنيه ابنه، ورد عليه في احتواء:

ــ عندك حق، أنا برضه ما كنتش بحكي لأبويا لما كنت بروح مع أمك السينما.

رفع (عمر) نظره إلى أبيه وقد ظهر عليه حماس، وقال في دهشة ممزوجة بالفرح:

ــ بجد؟! كنت بتروح معاها السينما من ورا باباك؟

ضحك الوالد:

ــ طبعًا يا بني أومال أنت فاكر ايه؟! أمك الله يرحمها كانت حب حياتي، وقصة طويلة.

رد عليه في لوم:

ــ ما أنت عمرك ما حكيتلي يا بابا!

ــ ولا عمرى حكيت لحد من اخواتك.. أصلها قصة طويلة ومليانة أوقات حلوة وأوقات صعبة.. بس أنا عايزك تعرف إن أمك كانت أعظم ست على وجه الأرض، وأنا عمري ما حبيت غيرها.

وانتظر لحظة ثم أكمل في تردد:

ــ ولا حتى (وفاء عمران).

هتف (عمر) في دهشة:

ـ (وفاء عمران)! مش دي رئيسة تحرير جريدة (الغروب)؟!

ـ أيوة يا سيدي، مانا كنت خاطبها قبل أمك، بس الحمد لله فوقت، وقابلت أمك.. ملت قلبي وحياتي وخلتني اكتفي بيها من العالم كله، وما بقتش عايز غيرها من الدنيا.

كانت الفرحة غامرة في ملامح (عمر).. لا يدري ماذا يُفرِحه أكثر.

أبسبب أنه يستمع لحكاية والدته التي ماتت وهو عمره عامان ؟

أم لأنه يتحدث مع والده في أمور الحب والدنيا؟ وهو أمر لا يحدث كثيرًا، بل ربما لا يحدث مطلقًا مع معظم الآباء.

أم لأنه يسمع بأذنيه مثالًا مشرفًا لانتصار الحب وتغلبه على صعوبات الحياة ؟!

إلا أن والده لم يكمل الحكاية، واقتطعها ليقول في حنان:

ـ نرجع بقى لموضوع إني ما كنتش بحكي لأبويا، أنا كان عندي حق ما احكيش له.. ما كانش هيفهمني.. إنما أنت يا (عمر) أبوك هيفهمك.. ما تضيعش النعمة دي من إيدك!.. الوالد لما يكون صديق بيبقى حاجة ما تتعوضش أبدًا.

شعر (عمر) بتأثر شديد بما سمع، وقال في حب:

ـ أنت أعظم أب في الدنيا.

شعر (حسن غنيم) أن عينيه ستذرف دموعًا، فأسرع سائلًا:

ـ ها قُلي اسمها إيه بقى ؟

شعر (عمر) بالتردد، ولكنه حسم أمره مجيبا في حياء:

ـ (سارة).

شعر (حسن غنيم) بالسعادة لمصارحة ابنه له، ورفع حاجبيه قائلًا في إعجاب:

ـ اسم جميل، هي بتحبك ؟

أومأ (عمر) برأسه وقال في شوق:

ـ بتحبني أوي، وأنا بحبها أوي أوي.

ابتسم الوالد في ذكاء:

ـ يعني هي بتحبك أوي بس ؟ إنما أنت بتحبها أوي أوي ؟

أدرك (عمر) ما يرمي إليه والده، فهز كتفيه في حيرة:

ـ لو تقصد مين فينا بيحب التاني أكتر فبيتهيألي أنا بحبها أكتر.

أخذ الوالد نفسًا عميقًا، وقال:

ـ شوف يا (عمر)، في حياتنا هنقابل حب حقيقي وحب مزيف، ودا أكبر لعنة!.. إلا ولاد المحظوظة اللي هيقابلوا الحب الحقيقي علطول.

ـ بس أنا بحبها بجد يا بابا.

ـ أنا ما بتكلمش عن شعور الحب نفسه، لكن بتكلم عن قصة الحب.. ممكن تكون بتعشق بكل جوارحك لكن في قصة حب مزيفة!.. لازم تخلي بالك لإنك مهما كنت بتحب الطرف التاني، لكن لازم تبعد عنه لو كانت لعنة مش حب.. لعنة هتفضل وراك لحد لما تدمرك.. لحد لما تجيب آخرك!

ـ لأ يا بابا مش لعنة.. بالعكس!.. دا أكبر نعمة، (سارة) بتحبني جدًّا.

ـ هسألك سؤال واحد بس، لو بقيت مفلس وعاجز جسديًّا، تفتكر إنها هتفضل معاك للآخر؟! هتكمل معاك؟! هتساندك؟! ولا هتتعاطف معاك أسبوع وتشفق عليك أسبوع تاني وبعدين تبعد عنك فى تالت أسبوع عشان تتحرر من عبئك، ومن قيود العجز والمرض والفقر اللي هتلاقيهم معاك؟ لإنك لو مش واثق إنها هتفضل وهتكمل.. يبقى هو دا الحب المزيف، وبيكون السؤال اللي نهاية العلاقة مرهونة بإجابته هو إمتى هتسيبك؟! إمتى هتزهق منك أو هتشوف خيار أفضل أو هتواجهوا مشكلة فهتستسلم وتمشي بدل ما تحارب لحبكم؟

أجابه (عمر) فورًا:

ـ طبعًا هتساندني وتفضل جمبي لآخر يوم، دا حب بجد يا بابا.

ـ بس أنت قُلت من شوية إنك بتحبها أكتر ما هي بتحبك.

ـ عشان أنا شايف إن ما فيش إنسان هيوصل لدرجة حبي ليها دي أبدًا، لكن دا ما يقللش من حبها ليا، آه أنا متاكد إنها مش هتسبني مهما حصلي.

تنهد (حسن غنيم) في راحة:

ـ لو كلامك بجد يبقى أنت من ولاد المحظوظة اللي كنت بتكلم عنهم.

ضحك (عمر)، بينما استطرد الوالد مكملًا في جدية:

ـ في مرحلة في العلاقة لو وصلتلها نقدر نسميه حب حقيقي.. لما بيكون العاشق متأكد وواثق إن عشيقه مش هيسيبه مهما كان.. مهما أصابه من فقر أو مرض أو عجز؛ لإن الحب اللى بجد، الحبيب مش بيكون مع حبيبه عشان جماله أو فلوسه أو منصبه أو أي حاجة غير روحه وبس.. لإن الحب الحقيقي لا يمكن يكون مشروط، وما حدش فيه بيمشي ولا بيخون.

كان (عمر) منصتًا، وابتسم لهذا الكلام الجميل، وهتف بعدما انتهى والده:

ـ إيه الكلام دا! دا أنت شكلك كنت رومانسي جدًّا مع ماما، أنا عايزك تعلمني بقى.

ضحك (حسن غنيم)، بينما سأله (عمر) في فضول وشغف:

ـ احكيلي بقى قصتك مع ماما كاملة، ها قُلي، باباك قفشك مرة معاها؟

ـ المشكلة لما أبوها هو اللي قفشنا.

انفجر (عمر) ووالده من الضحك، حتى أن دموعهما سالت ضحكًا، حتى فتح (آدم) باب الغرفة وظهر عليه الضيق وتساءل:

ـ بتضحكوا على ايه؟!

التفتا له، وأجابه والده:

ـ أنت اللي ما بتضحكش ليه؟

قال (آدم) في جدية:

ـ عايزك في حوار كدا يا بابا.

عقد (عمر) حاجبيه قائلًا في سخط:

ـ بيحكيلي حاجة مهمة على فكرة.

لم يرد عليه (آدم)، بينما قال الوالد لـ(عمر):

ـ هشوف أخوك عاوز إيه وهحكيلك القصة كلها بالليل أو بكرة، ما تقلقش اعتبرها إثارة وتشويق.

ابتسم له (عمر) وقد شعر أنه ينتبه لعظمة والده لأول مرة.

غادر الوالد الغرفة مع (آدم)، فعاود (عمر) الاتصال بـ(سارة) عدة مرات، حتى أجابته في النهاية فهتف في ريبة:

ـ إيه يا بنتي ما بترديش ليه ؟

أجابت في قلق ممزوج بالبراءة:

ـ (عمر)، أنا خايفة أوي.

ضحك من رد فعلها:

ـ من إيه بس يا روح قلبي ؟ ؟

ـ أنت مجنون ؟ يا بني باباك سمعنا وأكيد مش هيصدق الي أنت قلته دا، وبعدين..

ثم أكملت ضاحكة:

ـ وبعدين مين (رامي) دا الي هتروح معاه لآخر الدنيا ؟

ـ ماهو بابا ما صدقش برضه الي أنا قلته فاضطريت إني أقوله إني عايز أروح مع (سارة) بقى مش (رامي).

ـ (سارة) مين؟! (سارة) أنا؟.. (عمر) بطل رخامة ما توقعش قلبي بجد، إيه اللي حصل؟

ـ والله العظيم زي ما بقولك كدا، أنا قُلت لبابا إني بحبك ومش عايز غيرك، وإن عمري ما هلاقي حب زي حبك في حياتي، دا حتى اتبسط وقعد يحكيلي أسراره مع ماما.. الراجل دا طلع خلبوص أوي.

ـ أنت بتضحك عليا، ولا أنت شارب حاجة؟ أنا عارفة إن دي آخرتها والله أنت....

ـ بس بقا عشان أنا هتكلم جد دلوقتي فاستعدي وبلاش هزار وألش رخيص.. هتكلم جد شوية.

ـ يا ريت، والنبي ما عايزة حاجة غير إن أشوفك بتتكلم جد مرة.

ـ أنا عمري ما حسيت إني مهم أو مؤثر في حياة غيري، حياتي قبلك كلها كانت لعب عيال لحد ما شوفتك، حسيت إنك مسؤولة مني، حسيت إني مطلوب مني أحبك واخاف عليكي وأموت من الغيرة من غير ماحد يطلب مني دا، سألت نفسي ممكن يكون هو دا النصيب الي بتقولوا عليه؟ ولما قربت حبيتك أكتر، حبيت في لحظة تكوني أمي وفي لحظة تبقي بنتي، بس ما اكدبش عليكي خُفت أكتر من إن ممكن كل دا ما يكملش، بس يمكن لما اتكلمت مع بابا دلوقتي وحسيت في كلامه قد إيه كان بيحب ماما الله يرحمها وقدر يكمل ويتجوزها، دا خلاني اتطمن فحبيت اطمنك، أنتِ ما حدش هياخدك مني مهما حصل، أوعدك والله إني هذاكر وهعمل الي عليا عشان أدخل هندسة، وساعتها كل حاجة هتكون سهلة واقدر اتقدملك.

تنهد الاثنان في وقت واحد دون أن ينطقا بكلمة واحدة.

ـ ها؟ إيه رأيك بقى ف الكلام دا؟

ـ رأيي؟! رأيي إن ما عتش تهزر معايا تاني!.. عايزة كلامنا يبقى علطول جد في جد.

ثم أضافت في دلال ونعومة:

ـ وابقى اقعد مع بابا كتير الفترة الجاية، عشان تبقى.. عشان تبقى تسمعني كلام حلو كدا ياحبيبي يا كل حاجة في حياتي.

وعلى بعد عدة مترات، في غرفة والده، كان الوضع مختلفًا تمامًا، حيث جلس (حسن غنيم) بينما أغلق (آدم) خلفهما الباب، وأخذ يسير ذهابًا وإيابًا، ويفرك في يديه ويزفر في غضب وعصبية، حتى ظهر على والده القلق:

ـ مالك يا بني خير؟

رد في عصبية:

ـ ما فيش يا بابا.

ـ هو إيه اللي ما فيش، ما تريحنى يا بني وقولي مالك.

توقف عن السير ونظر لأبيه في غضب وهتف:

ـ أنت خلفتنا خمسة ليه؟

بدأ الوالد يتوتر من لهجة ابنه معه:

ـ خلفتكم خمسة إزاي؟!

عاد (آدم) في عصبية:

ـ يعني ليه بعدي خلفت كل اخواتي دول؟ كنت شايف نفسك غني وهتقدر تصرف علينا كلنا؟

ـ ربنا اللي بيكتب الأرزاق يا بني و...

قاطعه (آدم) وقد استفزته الإجابة:

ـ يووووه بقى، طب هو فين الرزق دا!! ما هو راح!

ـ يا بني ما تقلش كدا واستغفر ربنا وصـ.

صرخ (آدم) في غضب:

ـ باابا!! ما تقلش كلام مستفز! وكلمني كلام واقعي زي ما بكلمك!

رد الوالد في عصبية وبصوت مرتفع ولكنه مهزوز:

ـ لا دا أنت مش عايز تجبها لبر بقى.

انتبه (آدم) أنه كان عنيفًا في طريقته، فحاول أن يتحدث بأسلوب لين:

ـ بابا، اعذرني؛ أنا في حالة صعبة والله ومش عارف أنا بتكلم إزاي.

ـ أنت زودتها جدًا!

ـ أنا اللي أقصده يا بابا دلوقتي إن فلوسك اللي معاك دي بدل ما تتقسم على عيلين تلاتة هتتقسم على خمسة! نصيبي ساعتها مش هيبقى كفاية يجوزني أصلًا، وأنا خاطب يا بابا وعايز اتجوز بقى، ولا مش من حقي يعني؟

نظر الوالد أرضًا وقال في تعاطف:

ـ حقك يا بني تتجوز، هو أنا قُلت حاجة؟

ـ طيب يا بابا، مش المفروض تديني فلوس جوازي بقى؟ أنا حاسب

كل حاجة وهحتاج بالكتير خمسمية ألف.

رفع الوالد رأسه إلى ابنه ونظر له في استنكار:

ــ بس دي فلوس اخواتك يا بني، أنا كل اللي معايا بعد لما أبيع الأرض هيبقى تسعمية ألف، هتاخد أنت أكتر من نصهم إزاي ؟!

قال (آدم) في حماس محاولًا أن يضغط على والده بطريقته:

ــ يبقى خلاص، أنا هاخد النص بالظبط، كفاية عليا ربعمية وخمسين ألف.

ــ واخواتك يا (آدم)؟

بدأ (آدم) يستعيد عصبيته:

ــ مالهم اخواتي يا بابا؟ أنا أكبر واحد فيهم وأنا اللي محتاج اتجوز دلوقتي، يعني هو (سامي) ولا (عمر) هيعملوا إيه بالفلوس دلوقتي ؟

صاح الوالد:

ــ دا حق اخواتك زي ماهو حقك يا (آدم)!! أنت من إمتى بقيت طماع أوي كدا؟

هتف (آدم):

ــ تاني هتقولي اخواتي يابابا ؟! يعني هو أنا عايز اسرقهم ؟! طب منا لما اتجوز واشتغل واكسب ساعتها هساعد اخواتي وهيكونوا ساعتها بيبدؤوا حياتهم وعاوزين يتجوزوا أو يبدؤوا مشروع، يعني هو أنا هسيب اخواتي كدا يا بابا ؟

ــ أنت واضح إن ما فيش فايدة فيك أبدًا، تقريبًا كدا خطيبتك

لحستلك دماغك.

اقترب (آدم) فجأة من والده، وصاح في غضب:

ــ أيوة لحسته وهتجوزها وهاخد حقي منك.

تمالك الوالد أعصابه حتى يرد بقوة:

ــ طب أقسم بالله كلمة كمان ومش هتطول مني مليم أحمر! أنا علمتك وصرفت عليك لحد ما اتخرجت من كليتك واشتغلت، يعني قمت بواجبي كامل، ووصلتك لبر الأمان، أكتر من كدا يبقى مساعدة مني، إيه ما عندكش اصحاب كانوا بيشتغلوا وقت دراستهم وصرفوا على نفسهم ودلوقتي بيجوزوا اخواتهم البنات قبلهم؟ يا بني فوق بقى من اللي أنت فيه، الفلوس الي بتتكلم عليها دي غيرك بيحلم بربعها.

لم يكد ينتهي الوالد من كلامه حتى رأى الدمعة في عين ابنه، فأقبل عليه وقد تحول غضب الوالد لحنان فجأة وقال:

ــ مالك يا (آدم) يا بني؟! يا بني سيبها لله وإن شاء الله هجوزهالك، اهدا كدا بقى وروق عشان عريس اختك جاي كمان شوية، وأول لما يمشي تعالى أوضتي اقعد معايا واوعدك إني هدبرهالك ان شاء الله، اتفقنا؟

رفع (آدم) رأسه في أمل، وقال في خضوع:

ــ حاضر يا بابا.

دق جرس المنزل في تلك اللحظة، فقال الوالد في حنان:

ــ يلا يا (آدم) اغسل وشك كدا يا حبيبي وروق على ما افتح الباب لاخواتك.

أومأ له (آدم) ونهض ينفذ ما قاله، وخرج الوالد من الغرفة ليفتح باب الشقة، ليجد ابنتيه أمامه يدلفان للداخل، فيقول لهما:

ــ اتأخرتم كدا ليه ؟ دا زمان (حازم) جاي اهو.

تقترب منه (رنا) وتقبل رأسه في حب وتقول:

ــ (حازم) مين دا بس يا بابا اللي أنت شاغل بالك بيه ؟

ــ لو ناوية ترفضيه يا (رنا)، مع إني مش شايف سبب لدا، يبقى بأدب وباحترام مش عايزين نحرجه، الولد صاحب أخوكي من صغرهم وجاي بكل ذوق مع والدته يطلب إيدك.

ردت عليه وهي تضحك:

ــ لو هو ما استفزنيش يبقى أوعدك هكون مؤدبة.

خرج (آدم) من دورة المياة في تلك اللحظة ممسكًا بهاتفه المحمول وقال للجميع:

ــ (حازم) تحت بالعربية هو ومامته.. وطالعين حالًا اهو.

ــ طبعًا يا عمي أنا لو لفيت الدينا كلها مش هلاقي بنت في أخلاق (رنا) ولا في أدبها.

قالها الشيخ (حازم) وهو جالس بجوار والدته المنتقبة في أدب ونوع من الخجل مبتسمًا، وينظر لأفراد الأسرة جميعًا، فيرد الوالد:

ــ واحنا يا بني مش هنلاقي في أخلاقك ولا طموحك ونجاحك أبدًا.

خرجت من (رنا) ضحكة خافتة ساخرة، فالتفت (حازم) في حركة حادة

إليها، فقالت هي في هدوء:

ـ آسفة مش قصدي.

نظر لها (آدم) في غضب، لكنه لم يُظهره ونظر لـ (حازم) مبتسمًا:

ـ هتبقى نسيبي يا حزوم، مين كان يصدق واحنا بنلعب في الشارع مع بعض واحنا صغيرين إننا هنًاسب بعض.

ابتسم (حازم) في رزانة، ورد عليه مشيرًا لـ(رنا):

ـ (رنا) ساعات كانت بتلعب معانا برضه، بس تقريبًا دلوقتي قاعدة مكسوفة.

استفزتها كلمة «مكسوفة» فضحكت ضحكة قصيرة في تهكم:

ـ مكسوفة ؟ لا أنت عارف كويس يا شيخ (حازم) إني ما بتكسفش.

شعر الجميع أن الوضع قد أصبح غير مريح، خصوصًا عندما نظرت (رنا) لوالدها:

ـ بعد إذنك يا بابا عايزة اسأل (حازم) شوية أسئلة.

أومأ لها الوالد، بينما قالت والدة (حازم):

ـ اتفضلي يا حبيبتي دا من حقك!

نظرت (رنا) في ثبات لـ(حازم) الذي شعر بالتوتر وهو يسمعها:

ـ هتتجوزني كدا ولا عايز تغير فيا حاجة ؟

رد (حازم) مرتبكًا:

ـ أغير فيكي حاجة إزاي ؟!

ـ يعني مثلًا هتقولي بلاش تشتغلي يا (رنا)، ولازم تتحجبي ولا إيه ؟

أجاب (حازم):

ــ شغلك مش ضروري؛ لأن الحلقة الواحدة اللي بقدمها في برنامجي كل أسبوع باخد عليها تقريبًا قد مرتبك سنة كاملة في سنتر الإنجليزي دا.

ردت في صرامة:

ــ لوسمحت اتكلم عن شغلي بطريقة كويسة، أنا بحب شغلي ومش بشتغله لمجرد الفلوس.

وجد (حازم) نفسه غير قادر على الإجابة، ونظر لـ(آدم) حتى يساعده، ولكن (سامي) هو الذي بادر قائلًا:

ــ اتكلمي كويس يا (رنا).

ــ أنا بتكلم كويس، وبعدين الشيخ (حازم) ما ردش عليا في موضوع الحجاب.

التفتت والدة (حازم) وقد بدا عليها أنها متضررة مما تسمعه، فزاد توتر (حازم) وهو يجيب:

ــ الحجاب فرض في الاسلام يا (رنا)، وبعدين أختك (دينا) ما هي محجبة اهو وقاعدة وشها منور، هل دا بينتقص من حريتها مثلًا؟ ليه عايزة تغضبي ربنا ؟

ــ مش كل اللي أنت شايفه فرض أنا شايفاه فرض.

ــ يبقى دا قصور في علمك بالدين، أنا هعلمك الدين وفرو..

قاطعته في عصبية:

ــ أنا مش طفلة عشان تعلمني حاجة.

شعر الوالد أن ضيفهم قد شعر بالإهانة، فهتف:

ــ جرى إيه يا (رنا)؟ مالك بتتكلمي بعصبية كدا ليه.

التفتت له (رنا):

ــ أنت مش سامع كلامه يا بابا ؟

قال (سامي) محدثًا أباه:

ــ (رنا) بتتكلم صح يا بابا، المفروض اللي يجي يتجوز واحدة يجي يتجوزها زي ما هي، مش يشكلها على مزاجه الأول!

وعلى الرغم من أنها منتقبة، فإن الغضب كان واضحًا من أسفل النقاب على والدة (حازم) وهي تنهض واقفة:

ــ أنا بقول اتشرفنا بيكم يا جماعة وواضح إن العروسة عنيدة ومش هتنفع لابني.

ردت (رنا) في حزم:

ــ ابنك اللي ما ينفعليش.

نهض (حازم) مثل أمه، ونظر له (آدم) متأسفًا:

ــ آسف على اللى حصل دا.

رد (حازم) بصوت خافت:

ــ ما حصلش حاجة.

قال الوالد محاولاً إنقاذ ما يمكن إنقاذه:

ــ ما يصحش تمشوا كدا متخانقين، طيب نكمل القعدة طيب.

تقول والدة (حازم):

ـ لأ ما فيش داعي يا حاج (حسن).

تحرك (عمر) ناحية الباب مسرعًا وفتحه لهم، فغادر (حازم) مع والدته قائلًا:

ـ السلام عليكم.

رد الوالد و(آدم) السلام، ثم أغلق (آدم) الباب والتفت لـ(رنا) في حدة، ولكنها اتجهت لغرفتها مسرعة، وأغلقت خلفها الباب بعنف، وأتاها صوت (آدم) المشتعل غضبًا:

ـ كدا تحرجيني قدام صاحب عمري وتعملي اللي في دماغك؟! والمصحف لأوريكي يا (رنا).

وفي غرفتها ألقت (رنا) جسدها على سريرها مبتسمة في برود، وأمسكت هاتفها المحمول لتجيب إتصال، قائلة:

ـ آلو، عيب عليك، أنا حرفيًّا مسحت بكرامة أمه الأرض!

ثم أقربت الهاتف من فمها وأصدرت صوت قبلة، وأتبعتها بصوت لطيف وناعم ومثير:

ـ عايزاك تطمن يا حبيبي، وأنا بكرة لما هشوفك هطمنك على الآخر.

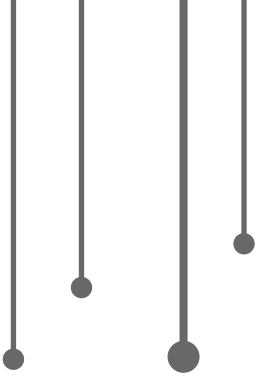

لعنة عمرها من عمر الخليقة، فالقصة تعيد نفسها مرارا وتكرارا منذ فجر التاريخ بل قبل التاريخ نفسه.. أحب ادم حواء فعصى ربه.. أحب قابيل شقيقته فقتل هابيل..

الخطيئة تلازم الحب دوما.

ابن عمها

في اليوم التالي وقت الظهيرة كالمعتاد يتجول (سامي) بسيارته في شوارع القاهرة، حتى أتته مكالمة (مي) صديقته، فأجاب الاتصال قائلًا:

- عايزة إيه يا زفتة؟
- أنت فين؟
- ليه؟
- عايزاك تعدي عليا بالعربية.
- أيوة ليه بقى؟
- توصلني للكلية يا (سامي)، مكسلة انزل آخد تاكسي وأنا متأخرة على المحاضرة.
- أنا مش شغال عند ابوكي على فكرة!
- ما تبقاش رخم بقى وتعالى، أهو حتى تحضر معايا المحاضرة وتستفيد.

ـ منا حضرت امبارح، هو كل يوم!

أدرك أن ذهابه إلى الجامعة سيتيح له فرصة رؤية (ملك) مجددًا، فاستطرد قائلًا:

ـ طيب طيب هعدي عليكي أهو يا (مي).

ـ قشطة عليك.

أنهى المكالمة، واستغرب نفسه.

لمَ يريد رؤية (ملك) بشدة؟ حقًّا شعور غريب وغير مألوف ابداً بالنسبة له!

ولم يعلم أبدًا أن بموافقته على طلب (مي) وذهابه للجامعة اليوم سوف يغير ليس حياته فقط، بل حياة أسرته بالكامل.

وأن ذهابه للجامعة اليوم هو بداية الطريق.. إلى اليوم المظلم!

(حسام دياب) الإعلامي الشهير وصاحب قناة (المستقبل)، في عقده الخامس من العمر، طويل، بدين نوعًا ما، بشرته ناصعة البياض، ينفث دخان سيجارته وهو يجلس خلف مكتبه، وينظر إلى (سلمى) و(آدم) الجالسين أمامه في حيرة وتوتر، حتى قال في هدوء:

ـ التقرير المرة اللي فاتت ما عجبنيش.

ردت (سلمى) في تماسك:

ـ أنا كنت ماشية تبع تعليمات حضرتك.

هتف (حسام) في غضب:

ـ تقومي تفقدي البرنامج مصداقيته؟! الناس بتتفرج عليا عشان أنا بمثل ليهم صوت الشارع، والقرار دا خانق الناس كلها، إزاي في التقرير بتاعي يبقا العشرة اللي أنتِ سألتيهم يكونوا كلهم مبسوطين من القرار؟

تمنى (آدم) لو استطاع أن يصيح به ويخبره ألا يتحدث إلى حبيبته بتلك الطريقة، ولكنه لزم الصمت واستمع إلى (سلمى) وهي تبرر:

ـ منا قولت للناس تتكلم كويس عن قرار الحكومة، والناس ما قصرتش الصراحة وما حدش طلب أكتر من خمسين جنيه.

أطفأ (دياب) السجارة في عصبية:

ـ المفروض كنتي تتفقي مع اتنين منهم أو تلاتة إنهم يعترضوا على القرار بس بطريقه محترمة وبسيطة، وإنهم بيدعموا الحكومة ومتقبلين إن القرار دا لمصلحة الدولة، فهمتي تقومي بشغلك إزاي يا متخلفة؟

كان (آدم) على وشك أن يفقد أعصابه ويرد عليه، إلا أنه وجد (سلمى) تضربه بخفة بقدمها في قصبة ساقه دون أن ينتبه (حسام)، فأدرك (آدم) مغزاها.. إنها تريده أن يصمت..

"أمرك يا (سلمى).. سأصمت من أجلك".

اهتزت (سلمى) وقالت في ارتباك:

ـ أوكي يا مستر (دياب)، أنا آسفة، المرة الجاية هاخد بالي.

لم يعطِ (دياب) لها أي اهتمام، والتفت إلى (آدم) وقال في حدة:

ـ وأنت دورك إيه بقى؟! مش المفروض إنك بتشوف التقرير قبل ما يتعرض وتشوفه يناسب سياسة القناة ولا لأ؟ ولا أنت نايم على بطنك

وسايب الناس هي اللي تشتغل وأنت بتعرض اللى هم بيسلموه ليك على الشاشة وخلاص ؟ البرنامج دا المفروض يمثل الناس يا بهايم!

"لأ يا آدم، ما تتهورش!"

أغمض (آدم) عينيه محدثًا نفسه ألا يتهور، ووجد نفسه على الرغم من انفه يرد عليه في أدب، ضاغطًا علي أسنانه في غيظ:

ــ غلطة مش هتتكرر تاني يا فندم.

أشار لهما (دياب) ليغادرا، وقال في استهزاء:

ــ يلا على شغلكم.

في منزل آخر بملابسها الداخلية ألقت (رنا) بجسدها على الفراش في حضن (سعيد) نصف العاري الذي كان يتحسس كتفها في حب، وهو يهمس:

ــ مش قادر اتخيل إن ممكن حد يجي عايز ياخدك مني.

ــ معلش يا حبيبي، بس أنا خدتلك حقك منه.

ــ أنا عايز اقول للدنيا كلها إنك بتاعتي.

أخذت (رنا) تتحسس صدره القوي في بطء:

ــ طب نعمل إيه بس يا حبيبي في مامتك ؟

ــ مش يمكن لو قلتلها توافق ؟

ــ أمك وأنت أدرى بيها.

قال في حزن:

ـ عمرها ما هتوافق لما تعرف إنك بنت (حسن غنيم) اللي سابها واتجوز صاحبتها اللي باعتها عشانه ولعبت عليه.

عقدت (رنا) حاجبيها هاتفة في استنكار:

ـ خلي بالك من ألفاظك يا (سعيد)، أنت بتتكلم عن أمي على فكرة!

ـ سوري يا حبيبتي، أقصد من وجهة نظر أمي أنا يعني!

ثم نظر لها مبتسمًا قائلًا:

ـ بتبقي قمر وأنتِ متعصبة.

وأرجع شعرها خلف أذنها في حنان واقترب فجأة مقبلًا إياها، وبدا عليها أنها تعتاد هذا معه، فبادلته التقبيل الذي استمر طويلًا، وصاحبته لمسات رومانسية كانت على وشك أن تتطور إلى ماهو أكثر من ذلك، إلى أن رن هاتفها برسالة، فأرادت أن ترى من يراسلها، فحاولت أن تبعد عشيقها عنها قليلًا، لكنه لم يكن سهلًا أبدًا، بل ظل واضعًا يده خلف رأسها ضاغطًا بقوة حتى لا تبعد شفتيها عن شفتيه، وبيده الأخرى قيد ذراعيها حتى لا تتمكن من الإفلات، وكانت هي تعشق هذه اللحظات، ولكنه لم يلبث أن تركها قائلًا:

ـ دقيقة وترجعي تاني.

ضحكت هي في دلال ومتعة:

ـ وهروح منك فين؟ أنا ملكك.

وأمسكت هاتفها ونظرت للرسالة في دهشة:

ـ دا (حازم).

صاح (سعيد) في عصبية:

ـ عايز إيه الزفت؟

ـ باعتلي بيقولي عايز اتكلم معاكي ضروري على انفراد.

ـ اه وبعدين؟

ـ هكلمه أشوفه عايز إيه.

ـ نعم يا ختي؟؟

ـ يا (سعيد) ما تنساش إنه صاحب (آدم)، وأنا مش حابة إنهم يخسروا بعض بسببي.

ـ دا مش معناه إنك تعملي حاجة مش عايزاها.

ثم أضاف غاضبًا:

ـ وبعدين هو إزاي لسة ليه عين يحاول معاكي؟!

ـ عشان بيحبني يا (سعيد)، لولا حبه ليا كان زمانه شاف واحدة شبهه وريح نفسه من زمان.

هتف (سعيد) في غضب:

ـ بتقولي في وشي إنه بيحبك؟

ـ هو اللي بيحبني، أنا ذنبي إيه؟!

اقترب منها، وأمسك هاتفها وألقاه على السرير بعيدًا، وعاد ينظر لها في عشق:

ـ أنتِ عارفة إن الجملة دي بتضايقني وبرضه قولتيها، عارفة دا معناه إيه؟

اقتربت من حضنه فلامست بجسدها شبه العاري جسده ورفعت عينيها في عينيه، قائلة في براءة متعمدة:

ـــ معناه إيه ؟!

تسللت أصابعه إلى خلف ظهرها ليفك حمالة صدرها، وهو يجيب في هدوء مثير:

ـــ إنى هعاقبك، أنتِ عارفة إنك لازم تتعاقبي، صح ؟

أومأت برأسها له في استسلام يعشقه، وهو يترك حمالة صدرها تقع على السرير، فأكمل وهو يسحبها في قوة لأسفله:

- يبقى سيبيلي نفسك خالص.

- حاضر.

لم تكد تكمل كلمتها، حتي اخذها..

اخذها وهو ينظر بحرارة في عينيها.. تألمت فى حضنه وذابت عشقا..

تعشق الالم الآتي منه.. بل تعشق كل ما يأتى منه..

تعشق أن يشعرها بكونها امرأة أمام هذا الرجل المسيطر...

تعشق عندما يصبحا جسدا واحداً!

وحدهما في غرفة والده، ولمدة ساعتين متواصلتين تحدث (آدم) مع والده يشرح له باستفاضة كيف يستيطع الزواج من (سلمى)، وكيف أنها لم تعد قادرة على الانتظار أكثر من هذا.

وبعد جدال وتفاوض، استقر الوالد على قرار أخير:

ـ مية وخمسين ألف جنيه.

ـ بس دول مش هيكفوا جوازي يا بابا، دا أنا مرتبي مش مكمل تمن تلاف.

ـ قدامك سنة أهوه تحوش فيهم من شغلك يا (آدم) و...

قاطعه (آدم) قائلًا:

ـ بس (سلمى) تستاهل أحسن من كدا يا بابا.

ـ (سلمى) ما تستاهلش أحسن منك يا (آدم)، ودا اللي أنت تقدر تقدمه ليها، لو بتحبك بجد مش هتسيبك، غيرك ما يقدرش أصلًا على المبالغ دي، ثق في نفسك وإن ربنا هيعملك الخير، ويا هي تصبر معاك سنة كمان وتتجوز باللي معاك، يا كل واحد فيكم يروح لحاله.

وقف (سامي) مع (مي) بعد انتهاء المحاضرة أسفل مبنى الكلية داخل الجامعة، يحكي لها ما حدث بينه وبين (ملك)، وقال في إلحاح:

ـ أنا عايز أعرف بس مين اللي بيضايقها!

تقول (مي) في ملل:

ـ يا (سامي) حاجة ما تخصكش، ودا سر في حياتها ما ينفعش اقوله!

ينفخ دخان السيجارة في وجهها بعصبية:

ـ لأ مخلصة أوي يا بت!

حاولت هي أن تقلل من غضبه:

ـ طب شوف.. أنا هستأذنها الأول ينفع احكيلك ولا لأ، قشطة ؟

ـــ لا لا، أنتِ متخلفة يا بنتي ؟

ضحكت هي من قلبها، ثم انتبهت إلى (ملك) القادمة من بعيد فقالت له:

ـــ بس بقى عشان (ملك) جاية أهي.

اقتربت منهما (ملك) متألقة، ونظرت له قائلة في حيوية وهي تمد يدها لتصافحه:

ـــ ازيك يا (سامي)؟ أنا مش مصدقة إنك بقيت بتحضر محاضرات.

شعر هو بسعادة حقيقية، لمجرد أن لامست أصابعه يدها، وشعر أنها يمكنها سماع ضربات قلبه المضطربة ربما لأول مرة منذ بدأ قلبه يدق، ورد عليها ضاحكًا:

ـــ قُلت انجح السنادي بقى.

كان هاتفها المحمول يرن ولكنها لا تجيب، ونظرت لـ(مي) قائلة:

ـــ هنذاكر إمتى عشان الميد تيرم؟

ـــ هجيلك بالليل بقى البيت نذاكر عندك.

فجأة هجم عليهم شاب، وأمسك (ملك) من ذراعها، وصاح بها:

ـــ هو دا بقى اللي ما بترديش عليا عشانه ؟!

انتفضت (ملك) في رعب، وردت في حدة:

ـــ أنت بتقول ايه ؟!

إلا أن (سامي) دون تفكير وجد نفسه يدفعه حتى يفلت ذراعها، إلا أن دفعته كانت قوية أكثر من اللازم فكاد الشاب أن يقع، فنظر له في

غضب وعاد يقترب منه في سرعة:

ـ أنا هقتلك!

واشتبك مع (سامي) فصرخت (ملك)، إلا أن (سامي) أمسك ذراعه في قوة، وأدارها خلف ظهره، وتفاجأ الشاب من قوة (سامي) الذي ظل ممسكًا بذراعه، حتى يمنعه من الحركة، وقال في تهكم:

ـ تقتل مين يا بني ؟!

إلا أن (مي) أمسكت (سامي) وهي تصيح:

ـ سيبه يا (سامي) خلاص!

تركه (سامي)، ولكن الشاب شعر بالإهانة، واقتربت منه (ملك) في غضب:

ـ أنت إيه اللي جابك هنا يا (خالد)؟؟! أنت بتراقبني ؟!

إلا أن (خالد) لم يجبها!

انحنى فجأة يمسك بحجر صغير ثم هجم على (سامي) بغتة ليضربه به بقوة في وجهه، فصرخ (سامي) وسقط أرضًا، فشعر الشاب بالخوف قليلًا، وزاد خوفه عندما رأى الدم في وجه (سامي)، وزاد أكثر عندما وجد (سامي) ينهض بسرعة ويقفز فوقه ليقع به أرضًا وينهال عليه باللكمات، وسط صراخ الفتاتين، والتفاف الكثير من شباب الجامعة ليفصلوا بينهما، وقد أصبح وجه (سامي) ووجه هذا الشاب في حالة تستحق الشفقة، وأخذت (ملك) تبكي في حضن (مي)، عندما وصل أفراد الأمن وقبضوا عليهما، وصاح كبيرهم:

ـ هاتوهم.

وبعد دقائق كان الشابان واقفين أمام عميد كلية (التجارة) في مكتبه، الذي نظر لهما في حنق، وقال بلهجة آمرة:

ـ كل واحد يطلع الكارنيه بتاعه.

أخرج (سامي) كارنيه الجامعة الخاص به وناوله للعميد، بينما ظل (خالد) واقفًا وقال:

ـ أنا مش طالب في الجامعة.

ضحك العميد في سخرية:

ـ لا يا راجل؟! وبتقولها بثقة كدا ليه؟! أنت كدا مش من حقك تكون في الجامعة أصلًا.

لم يرد (خالد) ونظر للعميد في استهتار، بينما دخل المسؤول عن الأمن في الكلية، وقال للعميد:

ـ الطلبة كلهم بيقولوا يا فندم إن الشاب دا جه فجأة يهجم على بنت زميلتهم، وكان طبيعي إن الطالب (سامي) يتدخل، وكمان كلهم بيأكدوا إن الشاب دا هو اللي بدأ العنف وما حدش أصلًا يعرفه من الطلبة.

أومأ العميد برأسه متفهمًا، وأشار لـ(سامي) مناولًا إياه الكارنيه:

ـ امسك يا بني الكارنيه بتاعك ويلا شوف أنت رايح فين.

شعر (سامي) بنشوة الانتصار خصوصًا بعدما أشار العميد إلى (خالد)، وقال:

ـ إنما أنت بقى هتتحول للتحقيق.

رمق (سامى) (خالد) نظرة شامتة، قبل أن يغادر (سامي) المكتب في سعادة، ليجد (مى) خارج المكتب منتظرة لتطمئن، وبجوارها (ملك) ووجهها حزين، فاقترب منهما في بطء، فنظرت له (مي) في راحة بينما رفعت (ملك) نظرها له وصاحت به في غضب:

ــ ما حدش طلب منك تتدخل.

أدهشه رد الفعل:

ــ كان بيمد إيده عليكي!!

هتفت في حدة:

ــ ودا ما يخصكش، ولا أنا أخصك!

وغادرتهما، تاركة (سامي) في حيرة كبيرة، فننظر لـ(مي) في غيظ:

ــ تقدري تقوليلي صاحبتك دي بتفكر إزاي!! ومين أصلًا (خالد) دا؟

انتظرت (مي) قليلًا، قبل أن تصدمه وتجيب:

ــ ابن عمها.

في مساء هذا اليوم لم يبدُ من (رنا) أو (سعيد) أي شيء يشير إلى علاقتهما السرية أثناء خروجهما مع (أحمد) المغني و(دينا)، وقال (أحمد):

ــ الخروجة بجد تحفة، كنتوا واحشني جامد، مش ناقصنا غير (سالي) اللي للأسف ما عرفتش تيجي.

ثم نظر لـ(دينا) وغمز:

ـ بس أنت اللي عوضتينا بقى، بجد أنا سعيد إني اتعرفت عليكى النهاردا.

احمرت وجنتيها في خجل:

ـ أنا أسعد بجد والله!

قال (سعيد):

ـ إيه يا جماعة هي الخروجة خلصت ولا إيه؟! حد يزهق برضه من منظر النيل الجميل دا؟!

قالت (رنا):

ـ لا، أنا بقول ممكن نتمشى شوية.

والتفتت لـ (سعيد) قائلة:

ـ تعالى نسبق وهما يحصلونا.

ازداد الخجل على وجه (دينا)، وقالت:

ـ لا ما تخلينا كلنا سوى.

يقول (أحمد) ضاحكًا:

ـ إيه مش عايزة تمشي معايا ولا إيه؟

ـ لا مش كدا خالص والله.

أما (رنا) فأسرعت قائلة في حماس:

ـ يبقى يلا.

وجذبت (سعيد) ليسير معها في المقدمة، ومن خلفهما بدأت (دينا) تسير مع (أحمد) في بطء وهو يقول:

ـ بتعملي إيه في حياتك بقى يا (دينا) بعد التخرج؟

وكان الحوار بينهما ممتعًا حقًّا ولم يشعرا بمرور الوقت، بينما في المقدمة قال (سعيد) لـ(رنا):

ـ يا بنتي للدرجادي أنا واحشك عشان تسيبي اختك مع (أحمد) ونسبق احنا؟

ـ يا عبيط انا خدتك وسبقت عشان هم يقضوا وقت لوحدهم.. عشان (دينا).

رد عليها في دهشة:

ـ بجد؟! هي اختك بتكراش على (أحمد)؟

ـ تخيل بقى!

ضحك (سعيد) وهو يستوعب الخبر، ثم قال لها في حماس:

ـ طب ما نستغل الفرصة ونسيبهم ونرجع الشقة، السرير وحشني أوي.

ضربته في كتفه:

ـ لم نفسك بقى يا (سعيد)، وبعدين احنا كدا كترنا في الموضوع أوي!.. المفروض نهدا شوية لحد ما نتجوز.

ـ نعم؟! أنتِ عارفة إني عشان أقدر أواجه أمي بإني هتجوزك محتاجين خمس سنين تقريبًا.

ثم اقترب منها فجأة مكملًا:

ـ وأنا ما اقدرش أمسك نفسي عنك خمس أيام حتى.

دفعته بعيدًا عنها وقالت في دهشة:

ــ احنا في الشارع يا بني!

ثم أكملت في رومانسية وخجل:

ــ الحقيقة إني فعلًا أنا كمان مش هقدر أمسك نفسي.

هتف في سعادة وحماس:

ــ ايوة علينا بقى.

قالت هي بصوت خافت حزين:

ــ بس وضعنا محزن جدًّا يا (سعيد).

ــ أوعدك إن ممكن خلال سنة أقدر أواجه أمي وأقولها.

ظهرت على وجهها اللهفة:

ــ بجد؟

نظر لها في حب حقيقي وقال:

ــ بجد يا حبيبتي.

ومن خلفهم بمسافة كان (أحمد) يسأل (دينا):

ــ حاجة واحدة بس فيكي مخلياني كدا مش مستريح.

نظرت له في حدة:

ــ حاجة إيه دي؟!

تردد هو قليلًا قبل أن يجيب:

ــ الحجاب.. أنتِ محجبة ليه؟!

ثم أضاف في قلق:

ـ إوعي تكوني متدينة وكدا!

وجدت نفسها تقول في استنكار:

ـ متدينة ؟! لا.. لا طبعًا، متدينة إيه!

ـ أومال لابسة الحجاب ليه ؟

ـ أنا بس أصلى اتعودت عليه مش أكتر.

ـ مانا برضه بقول إنسانة حرة قوية زيك لا يمكن تكون لابساه عن اقتناع.

كانت تستغفر الله في أعماقها «إيه اللي أنا قُلته دا بس يا ربي، استغفر الله العظيم» لكن لسانها كان على العكس يتجاوب معه، وأضافت ضاحكة:

ـ دا حتى كنت بفكر اقلعه من زمان بس مكسلة آخد القرار، بس قريب إن شاء الله!

تعجبت (دينا) مما قالته.. تعجبت من نفسها..

«بتقدمي المشيئة على الحجاب! أنتِ بتقولي إيه يا دينا! أستغفر الله، سامحني يارب».

لكنه أنهى الصراع الذي يدور بداخلها عندما تنهد في راحة:

ـ كدا أقدر أقول عليكي أكتر إنسانة متكاملة وجذابة عرفتها في حياتي.

وكانت هذه الجملة كافية لأن تجعلها راضية..

راضية أتم الرضا عما قالته!!

عاد (آدم) لغرفته وحيدًا ليتصل بـ(سلمى):

ــ أيوة يا حبيبتي.

ــ أيوة يا (آدم).

ــ أنا خلاص أقنعت بابا وهيديني مية وخمسين ألف جنيه.

ــ بس؟! لا بجد كتر خيره.

ــ أنا عندي أربع اخوات يا (سلمى)، دا غير إن أبويا عايز يشتري بتلتمية ألف مثلًا شقة صغيرة يعيش فيها باقى عمره بدل من مرمطة الإيجار اللي هو فيها دي.. ما تنسيش إنه دلوقتي داخل على السبعين ومحتاج يستريح.

ــ وهو عشان يستريح يتعبنا احنا؟ هو يشتري شقة يعيش فيها واحنا نبدأ حياتنا إيجار؟

ــ واحدة في واحدة هنمسك فلوس وهنشتري شقة وهنكبر، أنا خلاص قررت من بكرة هشتغل زي (سامي) على العربية اللى هو مأجرها، هحاول احوش أكبر مبلغ اقدر عليه السنة دي عشان أحطهم على المية وخمسين ألف دول ونتجوز السنة الجاية، أوعدك.

ردت عليه (سلمى) في ملل:

ــ دي اسطوانة مشروخة، ومش هتعمل حاجة، سلام يا (آدم).

ــ يا (سلمى) يا حبيبتي أنا محتاجك تساعديني وتقفي جمبي.

ــ ماشي يا (آدم)، عندك شهر نشوف فيه عملت إيه وقدرت تحوش فيه كام عشان نعرف السنة اللي بتتكلم عنها دي هتقدر تحوش فيها كام فعلًا

على المية وخمسين بتوع أبوك.

ـ حاضر يا حبيبتي حاضر، واوعدك هبقى عند حسن ظنك، أبوس إيدك اتكلمي كويس وفكيها بقى، عشان خاطري.

ـ ماشي ماشي، هنام دلوقتي عشان شغلنا بكرة بدري بقى، باي.

ـ باي يا حبيبتي.

في صباح اليوم التالي لم يتناول (سامي) فطوره كما اعتاد، فهو لا يدري ما به، يبدو أن لعنة قد أصابته أو شيء من هذا القبيل.. أم أنه قد وقع في الحب ؟!

ارتدى ملابسه وغادر المنزل في هدوء، وقاد سيارته متجهًا إلى معرض تأجير السيارات، وهبط منها محدثًا رجلًا في الأربعين من عمره، له شارب كثيف، صافحه في حرارة:

ـ أستاذ (سامي)، إيه اخبارك ؟

ـ ماشي الحال يا باشمهندس (حسين)، أخبارك إيه وأخبار الشغل ؟

ـ والله سوق العربيات نايم على الآخر، لا حد بيشتري ولا حد بيأجر، مال وشك متخرشم كدا ليه ؟

أخرج (سامي) مبلغًا من المال وناوله إياه قائلًا:

ـ دا إيجار شهر أكتوبر.

ـ كل شهر وأنت طيب يا أستاذ (سامي).

رن هاتف (سامي) فاعتذر للرجل قائلًا:

ـ هرد على المكالمة وهرجعلك يا باشمهندس.

وابتعد ليجيب عن المكالمة:

ـ أيوة.

ردت عليه (مي) بصوتها في حذر:

ـ أزيك يا (سامي)؟

ـ زي الزفت.

ـ إيه دا هو أنت عرفت؟

رد عليها في ريبة وقلق:

ـ عرفت إيه؟

تساءلت في حيرة:

ـ أومال زفت ليه؟!

صاح في عصبية:

ـ عرفت إيه اخلصي!

انتظرت قليلًا قبل أن تقول في تردد:

ـ (سامي) هو إيه اللي حصل في مكتب عميد الكلية لما كنت هناك أنت و(خالد) امبارح؟

لم يفهم الغاية من السؤال ولكنه أجاب مسرعًا:

ـ ما فيش، هو عرف إن (خالد) اللي كان بدأ عنف وإنه أساسًا مش طالب في الجامعة، فاداني الكارنيه بتاعي وقالي امشي، لكن حول (خالد) للتحقيق طبعًا، هو حصله حاجة ولا إيه؟

انتظرت (مي) ثواني بدت لـ(سامي) دهرًا، قبل أن تقول في ضيق:

ــ مش (خالد) اللي حصله حاجة يا (سامي).

كاد يهشم هاتفه المحمول بأصابعه من الخوف، وهتف في فزع:

ــ أومال (ملك)؟

ــ ولا (ملك) يا (سامي)، أنت اللي حصلك.

لم يتوقع تلك الإجابة، إلا أنه تنهد وشعر بالراحة أن (ملك) بخير، ثم عاد يسأل في فضول وحيرة وقلق:

ــ أنا حصلي إيه مش فاهم؟

انتظر ثواني فلم يسمع إجابة منها، فصاح في غضب وسخط:

ــ ما تخلصي قولي!

أجابته فورًا بصوت خائف وحزين متلعثمة:

ــ أنت اتفصلت من الكلية يا (سامي)!.. العميد نزل بيان النهاردا على موقع الكلية باسمك وصورتك إنك اتفصلت بسبب لجوئك للعنف واستخدامك لألفاظ لا تليق وسلوك شائن داخل الحرم الجامعي.. فصل نهائي!

كانت صدمة قاسية، غير مفهومة أو مبررة.. شعر أن الدنيا تدور من حوله ووجد نفسه يردد كلمة واحدة في ذهول:

ــ نعم؟!

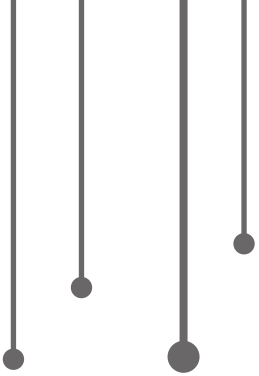

ممكن تكون بتعشق بكل جوارحك،
لكن في قصة حب مزيفة!

أنا لست كيس شيكولاتة

هل الحب دومًا يرقى بمشاعرنا وأخلاقنا؟

هل الحب دومًا يجعلنا أناسًا أفضل؟

أم أن الحب يمكن استخدامه كسلاح ضدنا؟

سلاح يطْعَنّا في كل ما نؤمن به، وفي مبادئنا، فيختبرها لنرى قوتها الحقيقية ومدى إيماننا الحقيقي بها!

هل هي متدينة كما ترى طوال عمرها؟

منذ وفاة والدتها في طفولتها وهي لم تضع صلاة واحدة، بل تزيدهم..

لم تفطر يومًا في رمضان، بل تزيدهم..

ولم تهتم فقط بالعبادات وتركت الأخلاق، بل اهتمت جيدًا بمعاملتها مع الجميع لتظهر حسن تدينها، وتوسطه، على الرغم من المفهوم السائد في الوقت الحالي عن التدين والمتدينين.

لقد حاربَت في سبيل ما تؤمن به، ووالدها (حسن غنيم) تضامن معها لأقصى درجة، فهو يدعم الحرية، وزرع بداخلهم منذ الصغر مفهوم حرية الاختيار، الذى يتلخص في عبارة «أنت حر ما لم تضر».

هذا ما نشؤوا عليه، ولكنها تختلف عن باقي الأسرة، فالوحيد سواها الذي يركعها في هذا المنزل هو والدها الذي يجتهد في إدراك بعض الفروض أسبوعيًّا، ولكن يُحسب له الاجتهاد.

(رنا) شقيقتها غير مهتمة من الأساس، مثلها مثل (عمر) و(سامي)، بينما التزم (آدم) في أوقات كثيرة وأهمل أوقات أكثر.

حاولت أن تدعوهم للالتزام أكثر من هذا، فإن أهملوا الصلاة فأي شيء يستحق الاهتمام؟!.. تؤمن بكل جوارحها أن الصلاة عماد الدين، فهذا ما خلق الله آدم من أجله، ليعبده، وليعمر الأرض.. وربما لأسباب أبعد من ذلك لا تفكر هي فيها!!

هكذا تنظر (دينا) لأمور الدنيا، وهكذا عاشت طوال عمرها، لم تحب (دينا) سوى عائلتها، وتجربتها خارج المنزل تتلخص في دراستها الجامعية بكلية التجارة التي أنهتها منذ عامين، وفي دروس الدين التي تهتم بحضورها في المسجد، لم تهتم (دينا) بمن وصفها بالمعقدة أو بالرجعية، ولم تبال بمن شكك في وطنيتها نظرًا لاهتمامها الأكبر بالدين.. فهي لا تفهم هذا ولا تبلعه، فهى تعرف جيدًا أنها ليست معقدة ولا رجعية، كما أنها تحب وطنها لأقصى درجة، ولكنها تحملت ما وصفوها به خصوصًا في العامين الماضيين؛ حيث اتجهت كثير من طبقات المجتمع اتجاهًا معاديًا للدين، أو للدقة أكثر (معاديًا للمتدينين)، ولكنها لم تهتم وظلت

صامدة، أملًا في خلود الجنة، فكانت كل ما تأمله هو أن يجمع الله بها مع عائلتها الحبيبة في الفردوس الأعلى، حتى حدث ما حدث، ودق الحب قلبها..

هل هذا اختبار من الله؟! هل هذا إبتلاء؟!

أم أنه نعمة من الخالق ينعم بها على عباده؟

ولكن كيف يكون الحب نعمة إذا أصابك نحو شخص أبعد ما يكون عن مبادئك وانتماءاتك؟! ويكون شرط العلاقة أن تسلم له نفسك متنازلاً عنهم!

إنه لعنة، إنه ابتلاء.

اهتز هاتفها المحمول الموضوع بجوارها، فنظرت إلى الشاشة دون أن تلمس الهاتف، فقرأت اسمه.. إنه هو وأسفل اسمه رسالة مكتوب فيها «دينا، صاحية نتكلم فون؟»أرادت أن تمسك هاتفها وتتصل به وتقضي الليل بطوله تتسامر معه، لكنها لم تفعل.. حاولت أن تبعد (أحمد) عن بالها وقلبها، وبكت كثيرًا هذه الليلة في غرفتها وهي تقرأ سورة (يوسف)، وتبعتها بإقامة الليل، دون توقف لدموعها.. حتى شعرت في النهاية براحة كبيرة وسلام داخلي استمر معها حتى أذان الفجر، وبانتهائها من أداء الفريضة..

وخلدت (دينا) بعدها إلى النوم، وأغمضت عيناها..

(أحمد)..

كم هو جذاب!

شخصيته ساحرة!.. وثقته بنفسه لأبعد الحدود.

كيف له أن يأتي في بالها الآن ؟!

كيف له أن يقتحم عقلها بعد كل ما فعلته طوال الليل لتبعده عنها ؟!

كيف لها أن تتخيله بجوارها الآن و..

ألم يحن الوقت أن تحب ؟ أن تتزوج ؟ أن تصبح امرأة لرجل ؟

أن تكون له ؟

معظم من هن في سنها الآن متزوجون، بل أغلب صديقاتها كذلك!

ماشعورهن الآن في أحضان أزواجهن ؟ هل هن في قمة النشوة الآن ؟

هل اخطأت في المبالغة في التدين أثناء سنوات الجامعة عندما رفضت فكرة الارتباط أو التعلق بأحد ؟

ها هي الآن قد مضت سنتان على تخرجها وهي وحيدة الفراش.. أصابتها قشعريرة بارده من شدة خوفها من أفكارها، فوضعت الوسادة فوق رأسها، ظنًّا منها أن بهذا تبعد هذه الأفكار والخيالات..

ولكن ما من مفر!

في كافيه (كوستا)، جلس (سامي) أمام (مي) و(ملك) التي ظهر عليها الإحساس بالذنب، وهي تقول في رقة وحزن:

ــ أنا آسفة يا (سامي) على أسلوبي معاك امبارح، بجد آسفة، بس (خالد) ابن عمي وما كنش سهل عليا أشوفك بتضربه، سامحني.

أومأ (سامي) برأسه في تفهم، ورفع رأسه لهما قائلًا:

ــ أنا متشكر إنكم جيتوا تقابلوني، بس أنا مش شايف سبب للمقابلة.

شعرت (ملك) بالإحراج، إلا أن (مي) قالت:

ــ (سامي) احنا اصحابك ولازم نساندك ونقف جمبك.. دا سبب المقابلة.

قال في صرامة:

ــ أنا مش عايز مساندة، أنا هروح للعميد دا دلوقتي وافهم منه إيه اللي حصل!

توترت (ملك) وقالت:

ــ خلي بالك يا (سامي)، ما تعملش مشكلة، هو أكيد خطأ غير مقصود.

نهض (سامي) وقال في حدة:

ــ لو غير مقصود يبقى هيتصلح، إنما لو مقصود يبقى مش هيقدروا يفصلوني تاني بعد اللي هعمله للعميد!

نهضت (مي) وقالت في قلق:

ــ (سامي)! ما ينفعش اللي بتقوله دا؟ صحيح مش هيفصلوك تاني لكن ممكن جدًّا تتسجن!

رد عليها في حزم قبل أن يغادر الكافيه:

ــ آدينا هنشوف.

وانصرف ليركب السيارة فهرعت (ملك) خلفه وكذلك (مي) وركبا سيارته، وهتفت (ملك):

ــ هاجي معاك، اللي حصلك دا كله عشان حبيت تساعدني، ومش هسيبك تتأذي أكتر من كدا بسببي.

أسعده ما سمع على الرغم من الضغط الكبير عليه حاليًّا، وما يتعرض له من ظلم وأذى.. لم يعد الأمر محيرًا، صحيح أنه يتعرف على هذا الشعور لأول مرة في حياته إلا أنه موقن أن هذا ما يطلقون عليه الحب، فلأول مرة يشعر أن هناك ما يدفعه.. ما يحركه.. يريد أن يظل بجوارها مدافعًا عنها، خشية من أي ضرر يصيبها.

هل كان أخوه على حق؟ هل الحب بداية الحياة الحقيقية؟

كل ما يريده الآن هو أن يقول لـ(مي) أن تهبط من السيارة، لتترك له (ملك) فقط داخل السيارة فيهجم على حبيبته يحتضنها بقوة قائلًا لها كل ما يريد.

هل تشعر هي بما يشعر به؟!

هل تبادله نفس المشاعر؟!

هل لعلاقتهم أي أمل؟!

أو أي مستقبل؟!

لكن لا وقت الآن لكل هذا التفكير.. فدقائق وكان (سامي) أمام بوابة الجامعة يحاول الدخول، فإذا برجل الأمن ينظر في الكارنيه الخاص به ثم يتأمل ملامحه ويقارنها بصورة الكارنيه، قبل أن يضع الكارنيه في جيب الجاكيت الخاص به، فينظر له (سامي) في دهشة ويهتف معترضًا:

ــ أنت بتعمل إيه؟!

تنظر (ملك) و(مي) إلى رجل الأمن في حيرة، بينما رفع رجل الأمن نظره إليه، وقال:

ـ أنت ممنوع من دخول الجامعة، والكارنيه عندنا أوامر نسحبه منك لو حاولت الدخول بيه.

دفع (سامي) رجل الأمن في غضب:

ـ يا عم دخلني وهات الكارنيه بتاعي، أنت مجنون ؟!

دفعه رجل الأمن بقوة ورد عليه:

ـ لو ما مشتش حالًا هتتعرض للمساءلة القانونية، أنا بنفذ الأوامر اللي عندي.

أمسكت (ملك) و(مي) بـ(سامي) الذي حاول السيطرة على أعصابه وقال لرجل الأمن:

ـ طب أنا عايز ادخل اعرف أنا اتفصلت ليه طيب، أسأل مين لو ما دخلتنيش الجامعة ؟!

هز رجل الأمن كتفيه:

ـ ما اعرفش، واتفضل دلوقتي من هنا.

جذبت (ملك) (سامي) هامسة:

ـ يلا يا (سامي) ما تعملش مشكلة.

أراد (سامي) أن يشتبك معه إلا أنه استمع لصوت (ملك)، وابتعد معها ومع (مي) وعادوا يركبون السيارة، والفتت (ملك) إلى (مي) قائلة في جدية:

ـ ما تخليهوش ينزل تاني.. أنا هعمل مكالمة مهمة وراجعة.

ـ حاضر.

غادرت (ملك) السيارة، وهي تتصل بشخص ما، انتظرت حتى سمعت صوته يقول في حرارة:

ـ ملوكة، عاملة إيه ياحبيبة عمو؟

ـ الحمد لله يا عمو، ازيك عامل إيه؟ واحشني.

ـ لو واحشك هتيجي تشوفيني وتقعدي معايا.

ـ هاجي والله قريب.

وصمتت قليلًا، ثم استطردت قائلة في حرج:

ـ كنت عايزة منك طلب.

ـ أنتِ تؤمريني يا (ملك)، دا أنتِ بنت الغالي الله يرحمه.

ـ بصراحة كدا (خالد) يا عمو جالي الجامعة امبارح وكنت واقفة مع ناس زمايلي، فجه يشدنى قام زميلي حاول يحجز فقام ضربوا بعض و..

قاطعها عمها في دهشة ممزوجة بالغضب:

ـ (خالد) ابني أنا؟!

ـ اه يا عمو.

هتف في سخط:

ـ ابن الكلب! أنا هربيه.

ـ دا بقاله فترة يا عمو بيكلمني وزي ما يكون بيراقبني.

ـ أنا هكسرله رقبته.

ـ المهم يا عمو بالنسبالي إن زميلي (سامي) دا ما يتئذيش لمجرد إنه حاول يساعدني.

سأل عمها في اهتمام:

ــ هو (خالد) ضربه جامد؟!

ــ لا لا الموضوع مش كدا، لكن العميد فصله من الكلية فصل نهائي، مع إن (خالد) هو اللي كان غلطان والطلاب كلهم شهدوا على دا، أنا مش قادرة اتخيل إن ممكن مستقبل زميلي وحياته دي كلها تنتهي بسببي.

تنهد عمها وقال ليثلج قلبها:

ــ اتطمني يا حبيبتي، خليكي معايا على الخط أنا هتصل بعميد كليتك.

ــ حاضر.

وضعها على الانتظار، وتركها تنتظر على أحر من الجمر، تتمنى من كل قلبها أن تسمع من عمها خبرًا تذهب لتخبر به (سامي) فتفرحه.

عمها (هاشم النويهي) لواء مرموق، وسيستطيع مساعدتها، ستنقذ مستقبل (سامي)، (سامي) هذا الشاب العظيم، لم تشعر من بعد موت والدها بأن هناك إنسانًا مستعدًا أن يحميها دون أن يفكر في أي عواقب، مستعدًا أن يحميها دون أن يجد سببًا لذلك أو تربطه صلة بها.

إنها ليست متأكدة من مشاعرها، فربما هي ترى فيه أكثر مما يوجد بالفعل، ربما لا يبادلها نفس الشعور، ربما شهامته فقط هي من ورطته في تلك الأمور.

لا.. قلبها يخبرها أنه يحبها وأنه على استعداد تام للتضحية بكل شيء من أجلها، هذا هو الإنسان الذي سيشعرها بالأمان والحنان.

تخيلت نفسها في حضنه، يااه، سيكون شعورًا عظيمًا، في حضنه يمكنها أن تغمض عينيها، وتترك نفسها مستسلمة؛ لأنها في أكثر مكان آمن بالعالم، لن يسمح (سامي) لأي مكروه أن يصيبها ما دامت في حضنه الدافئ، ما دامت قد احتاجت لرجل يحميها من بشاعة العالم، يُطمئن قلبها البريء الذي لم يدنسه شيء بعد، يضحي لأجلها، شيء ما يناديها ويجذبها نحوه، إنه الحب الذي طالما قرأت عنه وشاهدته في الأفلام.

كانت قد مرت دقيقتان عليها منتظرة، قبل أن تسمع صوته مجددًا يقول في خيبة أمل:

ــ للأسف يا (ملك)، قرار فصل زميلك (سامي) دا خلاص اتمضى واتنفذ، أنا قدرت أخليهم يعملوا إعادة نظر وإن شاء الله يبقى الفصل لمدة سنتين مش فصل نهائي.

شعرت بالدموع في عينيها، وهي ترد في أسى:

ــ والنبي يا عمو حاول تاني.

ــ من عينيا يا حبيبتي، هعمل كل اللي أقدر عليه.

ــ مع السلامة.

أنهى عمها المكالمة، وعاد يكمل مكالمته مع عميد كليتها، وقال:

ــ متشكرين جدًّا يا دكتور.

رد عليه عميد الكلية:

ــ تحت أمرك يا سيادة اللواء، وانا في الخدمة علطول.

رد عليه العم في هدوء:

ـ أكد على كل رجال الأمن تاني زي ما قلتلك على البوابات إن الواد الي اسمه (سامي) دا ما يدخلش الجامعة تاني تحت أي ظرف، أنا عايز اقطع علاقته تمامًا ببنت اخويا، دا عيل جربان وطمعان في فلوسها.

ـ حصل، وبتأسف تاني على معاملتي السيئة لـ(خالد) في البداية.. ما كنتش اعرف إنه ابن سيادتك.

ـ ولا يهمك يا دكتور، وأهم حاجة الفيديو من كاميرا المراقبة اللي في الكلية اللي كانت مصورة الخناقة بينه وبين العيل المعفن دا يتمسح.. مش عايز أي دليل على إن (خالد) كان في الجامعة عشان لو الواد دا قدم بلاغ ما يبقاش في أى دليل.. الموضوع دا لازم ينتهي من غير أى شوشرة.

ـ تمام يا (هاشم) بيه.

لم تكن (رنا) يومًا كأي أنثى عادية مثل باقي من هن في عمرها.. لم ترغب في مجرد الزواج وعيش حياة كريمة مستقرة، بل كانت تعشق التحرر والحيوية والانطلاق.. تبحث عن الحب.. بل تبحث عن العشق بكل ماتملك.. تريد من يؤمن بها وبوجودها وأفكارها ويكمل معها طريق الجنون، لا من يقيد حريتها ويحرمها من عملها، فـ(حازم) سيكون الآمر الناهي لزوجته، وهي ستكون جارية في مملكته،و سجينة وأسيرة لأفكاره ومعتقداته؛ لذا لم ينجح (حازم) طوال فترة صداقته مع (آدم) في إثارة اهتمامها.. لم يكن لها يومًا سوى صديق أخيها غير المرغوب فيه، ولن يكون أكثر من ذلك!!

تعي معني الحرية، فقد كانت تحترم التزامه وأخلاقه لا لإيمانها بأفكاره،

ولكن فقط من باب احترام آراء ومعتقدات الغير، ولكنها الآن ترى فيه شخصًا آخر، فقد تحول تدينه لمجرد سلعة تُباع على الشاشة، حتى آرائه الدينية أصبحت مُسيسة لخدمة رجال الأعمال!!

أصبح لقب (شيخ) مجرد مهنة لـ(حازم)!!

من وجهة نظرها أصبح لا يستحق الاحترام تحت أي سبب.

«قناة إيه اللي أعدي عليك فيها؟»

عبر هاتفه بصوت (رنا) سمعها (حازم) وهو يجلس في مؤخرة سيارته الفاخرة، فرد عليها في توسل:

ــ منا رايح القناة وهفضل فيها لبليل، طب أنتِ مكانك فين دلوقتي بس؟

أخبرته بموقعها فقال في حماس:

ــ طب خليكي مكانك، أنا هعدي عليكي بالعربية اهو، أنا قريب منك، خليكي عندك، بس اسمعي الكلام ولو ما عجبكيش كلامي هتبقى آخر مرة تشوفيني فيها يا ستي.

وأمر السائق الشخصي له بأن يغير وجهته قليلًا ليصل لموقع (رنا)، وبعد دقائق قليلة وجدت (رنا) (حازم) يهبط من سيارته ونظر لها في حب:

ــ اتفضلي اركبي.

أشارت إلى سيارته في سخرية:

ـ إيه دا هو أنت عندك سواق ؟

ـ عشان بس بكون بحضَّر للحلقة أثناء ما هو بيوصلني كل يوم.

ـ مممم، طب وأنا هركب فين بقى ؟

ـ جمبي ورا طبعًا.

ردت في سخرية:

ـ ماشي يا شيخ (حازم)، أما نشوف آخرتها.

ركبت السيارة معه، وانطلق السائق بهم، ونظر لها (حازم) طويلًا متأملًا ملامحها في إعجاب دون أن ينطق، فقالت:

ـ (حازم)! عندك إيه تقولهولي ؟

ـ اتجوزيني يا (رنا).

تفاجأت بالعبارة، حتى إنها رفعت أحد حاجبيها في دهشة واستنكار:

ـ يا سلام؟ مانا قُلتلك اللي عندي لما جيت اتقدمتلي.

ـ بس أنا شايف إني ممكن اقنعك بالحجاب، وبالنقاب كمان.

ضحكت (رنا)، ولكنها قالت في فضول:

ـ اتفضل اقنعني!

ـ دلوقتي أنتِ لو معاكي اتنين شيكولاتة، واحدة بكيستها مقفولة والتانية مفتوحة حتى لو مش متاكل منها، تحبي تختاري أنهي واحدة فيهم؟

على الرغم من أن (رنا) أدركت ما يقصده إلا أنها سايرته مجيبة:

ـ المقفولة طبعًا.

قال هو في حماس:

ـ بالظبط! لإنها مقفولة ومتحافظ عليها في كيستها، اللي هو الحجاب في حالة البنات والستات، أنا من حبي فيكي عايز أ...

قاطعته مكملة في تهكم:

ـ عايز تغلفني في كيس عشان الجراثيم والميكروبات؟

توتر هو من رد فعلها الحاد، وأكملت:

ـ أنا مش شيكولاتة يا شيخ (حازم)، أنا أكبر من كدا بكتير، أنا إنسانة مش هبوظ ولا هفسد ولا صلاحيتي هتنتهي لو دبانة وقفت عليا زي الشكولاتة!.. خلي قصصك اللي بتقنع بيها البنات اللي مخهم على قدهم لنفسك وليهم، وفكك مني ونزلني من العربية دلوقتي حالًا.

تنهد مدركًا أن لا أمل في إقناعها، فبادر قائلًا:

ـ بس أنا ما قلتش كل اللي عندي لسة، أنا موافق إنك تشتغلي وإنك ما تتحجبيش حتى كمان.

استغرقت هي ثواني حتى تتأكد أن ما سمعته صحيح، وتساءلت:

ـ آه وبعدين؟!

ـ مش دا اللي أنت عاوزاه يا ستي ؟

ـ الموضوع أكبر من كدا يا (حازم)، وبعدين إزاي مش هتحجب ؟! مش خايف على منظرك قدام الناس وأنت شيخ العصر ؟! دا أنت (تريند) دلوقتي.

أكمل حازم موضحًا:

ـ لأ ماهو الناس مش هتبقى عارفة في شغلك إنك مراتي، وفي الإعلام هنزل خبر جوازي بس من غير صور ولا حاجة وهرفض الكلام عنك تمامًا، والناس ساعتها هتتخيل أكيد إني بعمل دا عشان مراتي منتقبة وما ينفعش تظهر أو اتكلم عنها أو كدا يعني.. وأمي كمان انا هقنعها لما اتجوزك إنك انتقبتي وإنك قاعدة في شقتي وهي مش هتجيلنا كتير يعني.

ظهر على وجهها كامل الغضب وصاحت:

ـ وحياة أمك ؟!

التفت لهما السائق الخاص في دهشة، فصاح به (حازم) بلهجة آمرة:

ـ ما تخليك في حالك يا بجم!

بصوته الخائف قال السائق وهو ينظر للطريق:

ـ آسف يا شيخ (حازم)!

التفت لها (حازم) في هدوء على الرغم من غيظه:

ـ افهميني يا (رنا)...

قاطعته بلهجة جادة وحاسمة:

ـ أنا عايزاك أنت تفهمني، أنا مش هتجوز واحد محرج مني ومن

أفكاري وأسلوبي في الحياة، يا تاخدني زي مانا يا ما تاخدنيش، أقولك حاجة بقى؟! حتى لو وافقت تاخدني زي مانا كدا ووافقت تقول للبشر كلهم دي مراتي، برضه مش هتجوزك! أنا مش عايزاك يا أخي، هو بالعافية؟!

أغمض هو عينيه وهو يستمع لهذه الكلمات محاولًا أن يهدأ، وبأظافر يده البعيدة عنها كان يخدش المقعد ليخرج فيه غضبه، ولم يجد ردًّا يقوله، بينما وجهت هي حديثها للسائق:

ــ نزلني على جنب لو سمحت.

توتر السائق ولم يفهم أيطيعها أم لا، ولكنه قرر أن يتجاهل ما قالته، فعادت هي تصيح به معيدة جملتها، مما دفع (حازم) لأن يقول هو بلهجة آمرة:

ــ نزلها يا (فؤاد)!

قام السائق بإيقاف السيارة فورًا، فهبطت منها (رنا) وأغلقت خلفها الباب في شدة، تاركة (حازم) يشتعل غضبًا، وانطلق به (فؤاد) إلى قناة (النور) ليقدم حلقة اليوم.

لقد أصبح أحمقًا بكل تأكيد، وإلا فكيف له أن يكون سعيدًا ولم يمر سوى يومين على قرار فصله من الجامعة؟!

ولكن كيف له ألا يكون سعيدًا وهو بصحبة (ملك) معظم اليوم، ويحادثها على الهاتف باقي اليوم؟!

كيف له ألا يكون أسعد البشر بغض النظر عن أي شيء آخر؟!

تحدثوا عن مستقبلهم، وعما يحبون وما يكرهون، فكان الحوار بينهما لا ينتهي، لا ينتهي أبدًا!

(مي) لن تقابلهم اليوم.. ستكون خروجة اليوم فقط هو وهي.

قرر أن يصطحبها إلى الملاهي، وأخذ يلح عليها قائلًا:

ــ هتلعبي يعني هتلعبي.

قالت في عناد:

ــ بقولك ما بعرفش اسوق أصلًا.

رد ضاحكًا:

ــ أنتِ ليه محسساني إنها عربيات بجد؟! أنتِ هتضغطي بنزين وخلاص وهتلاقيها بتتحرك.

جذبها من يدها ليقتربا من قاطع التذاكر، وقال (سامي):

ــ تذكرتين.

ناوله الرجل التذكرتين، فقالت هي في عناد:

ــ بتتصرف كدا من دماغك! ما أنا قلتلك مش عايزة العب.

ــ طب والله هتتبسطي، وبعدين أنا قطعت تذكرتين خلاص، يرضيكي الفلوس دي تبقى راحت على الفاضي؟ وأنا غلبان ومفصول من الجامعة وبشقى على اخواتي.

ضحكت هي في رقة:

ــ خلاص يا عم أنت هتشحت؟ هلعب ماشي عشان صعبت عليا بس.

اقتربا من لعبة العربيات الكهربائية، وشاركهم أربعة أطفال اللعب، أجلسها (سامي) داخل عربتها، فقالت وهي تركب بصعوبة:

ـ دي باين لعبة للأطفال يا (سامي).

قال في جدية مفتعله:

ـ طبعًا يا بنتي، أنتِ مش شايفة الناس بتتفرج علينا؟

رفعت نظرها إليه في حدة، فضحك هو:

ـ بهزر بهزر، يلا بقى الراجل عايز يبدأ اللعبة.

وتحرك هو ناحية عربته، وبدأت اللعبة، ولن تكون مبالغة إذا وصفنا هذه الدقائق القليلة أثناء لعبهم وانطلاقهم وهما يصدمان عرباتهم بعضها بالبعض أنها من أسعد دقائق عمرهم.

نظر لها (سامي) في عشق.. كيف سحرته هذه الحسناء؟!

كيف جعلته يؤمن بما لم يؤمن به أبدًا؟!

الحب!

كيف جعلته يجد هدفًا يعيش لأجله؟!!

كيف جعلته يشعر بوجوده؟!.. أنه على قيد الحياة!

وجد نفسه يقفز من سيارته على الرغم من أن اللعبة لم تتوقف بعد، فهتف الرجل المسؤول عن تنظيم اللعبة معترضًا:

ـ ممنوع يا أستاذ!

اندهشت (ملك) وهي تقود عربتها بـ (سامي) الذي اقترب منها وقفز داخل عربتها جالسًا بجوارها على الرغم من ضيق العربة، فهتفت وهي

تقود العربة بعشوائية:

ــ أنت بتعمل إيه ؟!

أسعدها تهوره وحركاته التلقائية، ووضع يده على يدها التي تمسك (بالدركسيون) وقال:

ــ بصيلي بصيلي.

ما أحب عندها من النظر إليه، فنظرت له وضحكت:

ــ على فكرة شكلك كان أهبل أوي.

ضحك هو:

ــ (ملك) أنا عمري ما حسيت إني منطلق كدا وكأني طفل ومش فارق معايا الناس، والأهم عمري ما حسيت إني مبسوط كدا.

بلعت ريقها بصعوبة وهي تسمع ما يقوله، وأكمل هو وهو ينظر بعمق في عينيها دون تفكير:

ــ (ملك)، أنا بحبك.

فجأة شعرت (ملك) أن الزمن توقف عند هذه اللحظة، يا إلهي! لقد نطق بها، لقد أعلنها أمام الناس ولم يخشَ شيئًا، اه يا صغيري،.

اه يا رجلي، لكم انتظرتك طويلًا حتى كنت على وشك فقدان الأمل..«وأنا كمان بحبك»

قالتها دون تفكير، ثم انتبهت مدركة الموقف، فأبعدت نظرها فجأة في خجل بينما صاح هو في حماس وطاقة:

ــ بتحبيني أوي أوي يعني ؟!

ضحكت هي في خجل، بينما صفق هو في مرح، حتى سمعوا الرجل المسؤول عن اللعبه ينادي:

ــ يا أستاذ، يا أبلة، اللعبة خلصت!

انتبهوا فجأة أن العربة متوقفة منذ مدة، وأن الأطفال اللذين شاركوهم اللعب قد انصرفوا، بينما من كان الدور عليهم ينظرون لهم في دهشة، وبعضهم في ملل، والبعض الآخر في إعجاب، فنهضت (ملك) في خجل، وتنحنح (سامي) في إحراج وهو يغادر معها وونظر للرجل:

ــ آسفين يا باشا.

كان ممسكًا بيدها وينظر لها، بينما تنظر هي أرضًا في حياء ولم تفارقها ابتسامتها، حتى غادرا المكان، فقال في حماس:

ــ تحبي تتمشي فين؟

هزت كتفيها قائلة في دلال:

ــ ما دام معاك يبقا المكان ما يفرقش كتير.

صاح هو:

ــ إيه الجمال ده!.. أنا الجملة دي ممكن اعيش عليها شهرين وربنا.

ضحكت هي وشاركها الضحك، وأمسك يدها جيدًا في حب وسارا جنبًا إلى جنب، ولم ينتبها أبدًا لهذا الشاب الذي يقف بعيدًا يراقبهم في غضب ووعيد دون تدخل..

ولم يكن هذا الشاب سوى (خالد النويهي) بكل تأكيد!

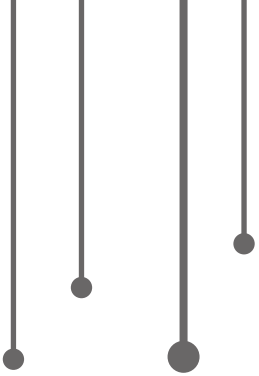

من الغيرة أيضًا ما قتل!

غيرة

بعد مرور شهر..

قبل اليوم المظلم بثلاثة أيام..

الثاني من ديسمبر ٢٠٢٣..

شهيق، زفير، شهيق، زفير، عرق يسيل من جسده بالكامل، دقات قلب سريعة وجري متواصل على جهاز المشاية في صالة الجيم.

لم يعد (آدم) قادرًا على مواصلة الجري، إلا أنه أجبر نفسه على الاستمرار، «يجب أن تستمر، من أجل (سلمى)، من أجل أن ترى في عينيها نظرة إعجاب».

يواصل (آدم) الجري، وينظر في المرآة ليرى (سامي) شقيقه في نفس صالة الجيم ممسكًا بـ(الدمبلز) يلعب تمرينًا لعضلة (Biceps)، وعندما أتت عيناه في عينيه قال (سامي) مشجعًا أخاه:

- عااش.

ابتسم له (آدم) وهو يتأمل عضلات أخيه وجاذبية جسده..

هذا هو الجسد المثالى!

هذا ما تطلبه منه (سلمى)، بل هو أكثر مما تطلبه، كم أمام (آدم) حتى يصل إلى هذا؟! أو يقترب حتى منه؟!

سيرضيه أن يصبح فقط دون هذه الدهون الزائدة.. ألا يوصف بالبدين.. لا أن يخجل أن يخلع ملابسه أمامها لتظهر تلك الترهلات الحقيرة، والجوانب الكريهة، والفخاذ التى تهتز من فرط دهونها..

على الرغم أن (آدم) ليس بديناً بدرجة واضحة، ودهونه الزائدة ليست أزمة إلى تلك الدرجة، إلا أن فى عيناه أصبح يرى نفسه أكثر الرجال بدانة!

سخيف أن يشعرك شريك حياتك دوماً أنك ما زلت أقل من أن تستحقه.. وعليك ببذل مجهوداً أكثر!

شهيق، زفير، دقات القلب تتسارع أكثر:

«استمر، لا تتوقف يا ضعيف، إذا توقفت فأنت لا تستحق (سلمى)».

قدماه لم تعد قادرة على حمله ولكن عقله لم يعطِ أمرًا بالتوقف أبدًا، وظل يتأمل أخاه من خلال المرآة ليحمس نفسه أكثر من خلال غيظ وإهانة نفسه..

شايف أخوك أحلى منك إزاي؟

إنما أنت؟!

أنت بغل، أنت فاشل، وقليل، و(سلمى) عندها حق تسيبك..

(سلمى) هتسيبك..

هتسيبك...

لم يشعر بنفسه حتى وقع أرضًا وسط التفاف الناس وصوت أخيه القلق المرعوب..

ثم ظلام تام..

في هذه القاعة داخل مسجد (السلام) الكبير، انتهى الشيخ (محمد سعفان) من المحاضرة، وبدأ الرجال والنساء في الانصراف، بينما اقتربت (دينا) منه وقالت:

ــ لو سمحت يا شيخ (محمد)، عايزة أسأل حضرتك سؤال.

كان شيخًا معاصرًا من هؤلاء اللذين يرتدون قميصًا، ولحيتهم إذا وُجدت فهي خفيفة، وابتسم لها مجيبًا وهو يشير إلى مقعد:

ــ اتفضلي يا آنسة (دينا).

جلست (دينا) حيث أشار الشيخ، وجلس هو على مقعد مقابل، وبدأت (دينا) في الحديث قائلة في تردد:

ــ أنا جايلي عريس.

صمت قليلًا ثم قال في ترحاب:

ــ طب وماله؟ بارك الله لكما وجمعا بينكما في خير، لازم حد من الإخوة الي بيحضروا الدرس في المسجد.

أكملت هي في ريبة:

ــ لا هو الحقيقة مش ملتزم، دا حتي عايزني اقلع الحجاب.

اهتز الشيخ من صدمة العبارة، ورد في عصبية:

ـ يبقى مرفوض يا أخت (دينا)، «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه».

نظرت (دينا) أرضًا في خجل، وغمغمت:

ـ بس والله دا إنسان كويس من جوه!

يقول في ضيق:

ـ وأنتِ عرفتي منين إنه كويس من جوه؟! وبعدين دا عايزك تعصي ربنا وتخلعي الحجاب اللي ربنا فرضه عليكي زيه زي الصلاة، دا لا يبقى مسلم ولا راجل عنده نخوة، يا أخت دينا «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» الجملة واضحة وصريحة.

تلعثمت وهي تقول:

ـ بس في شيوخ ومفكرين بيقولوا إن الحجاب مش فرض.

استفزه ما سمع وكان على وشك أن يصيح بها، لكنه حاول أن يهدئ من أعصابه وتنهد ليكمل في عتاب هادئ:

ـ آنسة (دينا)، حضرتك أخت فاضلة وملتزمة من سنين، والشك اللي أنتِ فيه دا واضح إنه اختبار من ربنا عز وجل، أنا مش عايز اعرف أنتِ عرفتي منين إنه كويس من جوه ولا اتعاملتي معاه فين وإزاي، لكن لازم تتوبي توبة نصوحة و...

قاطعته هي في براءة وخوف:

ـ لا لا أنا ما عملتش حاجة والله، أنا كلمته على الموبايل بس و..

لم تكمل كلامها لأنها رأت في عينيه الغضب، فصمتت وعادت تنظر

أرضًا، بينما استعاد هو هدوءه لكنه قال في صرامة:

ــ التواصل على الموبايل مع رجل غريب سواء صوت أو كتابة نوع من أنوع الزنا.

كانت جملة قاسية؛ فعقدت حاجبيها وصمتت معترفة بالخطأ، واستطرد هو:

ــ توبي توبة نصوحة وابعدي عن اللي أنتِ فيه واقطعي علاقتك تمامًا بالراجل دا، ولو في إنسان ملتزم متدين صالح ظهر، لازم تتزوجيه في أسرع وقت، الزواج ستر ودين.

أومأت هي ثم نهضت واقفة وقالت في احترام:

ــ عن إذنك يا شيخ (سعفان).

هز رأسه سامحًا لها بالانصراف فغادرت هي فورًا وتركت الدموع تسيل من عينيها من قسوة الحوار.

على مرتبة اسفنج مخصصة لأداء بعض التمارين داخل صالة الجيم كان (آدم) يستعيد وعيه تدريجيًّا، ويحاول جاهدًا أن يفتح عينيه.

ــ «حمد الله على السلامة»

قالها (سامي) مبتسمًا، فتأمل (آدم) عينيه جيدًا حتى اتضحت الرؤية ورأى العديد من الناس خلفه وغمغم قائلًا:

ــ هو في إيه؟!

لم يميز ما يُقال ولكن لم يكن هذا مهمًّا، ساعده (سامي) على النهوض،

بينما اتجه الجميع يكمل أداء التمارين.

قال (سامي) في قلق:

ـــ إيه يا عم رعبتني عليك، دا كان أبوك يروح فيها لو جرالك حاجة!

استند (آدم) على (سامي) ورد:

ـــ معلش أنا زودتها في الجري.

ـــ ولا يهمك، تعالى يلا أروحك البيت.

ـــ بس ما تقولش لأبوك حاجة عشان ما يروشنيش.

ـــ أكيد طبعًا.

ولم تمر سوى ساعة حتى كانا يدخلان البيت، فدخل (آدم) غرفته بينما دخل (سامي) غرفة والده، فوجده جالسًا على سريره يقرأ كتاب (نظريات فائض القيمة)، فاقترب منه (سامي) وأمسك الكتاب وأبعده قائلًا:

ـــ مش كفاية قراءة بقى ؟

خلع الوالد نظارة القراءة، ورد عليه في سخرية:

ـــ ما هو أنا الوحيد اللي بقرأ في البيت دا.

ضحك (سامي) في حرج، ثم قال في جدية:

ـــ بابا أنا عايز اتقدم لبنت.

ظهر الذهول على وجه والده، وقال:

ـــ نعم ؟!

ضحك (سامي):

ـــ إيه اتخضيت كدا ليه ؟!

ابتسم الوالد في حنان وقلق:

ــ أنا مبسوطلك يا بني والله، بس أصل اخوك على وش جواز.. وأنت عارف الحالة صعبة.

أسرع (سامي) موضحًا:

ــ لا لا أنا مش بتكلم في فلوس، أنا بقولك عشان تيجي معايا نطلب إيدها من عمها.

تساءل والده:

ــ بس يا بني الجواز محتاج فلوس و...

قاطعه (سامي) في هدوء:

ــ يا بابا ما تقلقش؛ أنا بتطلعلي فلوس حلوة كل شهر من الشغل على العربية، بسهولة جدًّا هقدر أحوش منهم ما دام هوفر ومش هصرف، وهفضل خاطبها سنتين أكون جبت فيهم فلوس الشبكة والخشب وكدا، أنا بقالى شهر أنا وهي مرتبطين، الشهر دا أنا فعلًا جربت نفسي وجربت ما اصرفش وأحوش وهي بتساعدني على دا، لما بنتقابل حتى بنقعد في أماكن عامة أو حدائق حكومية من اللي التذكرة فيها باتنين جنيه دي.

انبهر الوالد من كلام (سامي) وتمنى لو كان (آدم) مثله، ولكن سرعان ما استطرد قائلًا:

ــ والشقة يا (سامي)؟!

ــ هي متفهمة جدًّا ومش طالبة غير أبسط حاجة، حتى الفرح لو الفلوس اللي معانا قليلة هنعمله في بيتنا هنا، أنا اتكلمت مع (ملك) وهي

عارفة الوضع وراضية ومبسوطة كمان، المهم إني بشتغل وعندي دخل أقدر اصرف منه عليا أنا وهي لما نتجوز، وهشوفلي كمان شغلانة كدا تزود دخلي.

لم يرد عليه الوالد، بل ظل ينظر له طويلًا متأملًا ملامح ابنه في سعادة.

لقد غير الحب (سامي)، فجعله قادرًا على تحمل المسؤولية، فهو أبدًا لم ير ابنه هكذا من قبل..

الحب يغيرك إذا اقتحم عالمك!

ولكن أي تغيير؟!

قارن الوالد في عقله بين حب (سامي) الحقيقي، وبين لعنة (آدم)!

الحب المزيف لا يأتي منه إلا كل شر، وتكون فيه مضطرًا لأن تخسر مبادءك لتنجو بلا شيء، فتخسر كرامتك وثقتك بنفسك لتكتشف بعدها أنك خسرت حتى هذا الحب نفسه، إنه الحب الذي يمتلكك ولا تمتلكه، يحركك ولا تحركه، يسيطر عليك ويحطمك، لا يدفعك للأمام، إنه الحب الذي يستنزف روحك ومشاعرك ويأخذ منك كل ما كان يميزك يومًا.

وليس هذا كله هو ما يجعله لعنة، بل لأن في المقابل طرفًا لا يُقدَّر ولا يهتم وعلى أتم الاستعداد للهجر والنسيان، والتجاوز التام!

هتف الوالد مرددا في سعادة:

ـــ (ملك).

ابتسم (سامي):

ـــ آه.. واسمها على مسمى يا بابا.

تنهد (حسن غنيم) وقال في بهجة:

ــ شوف، أنا قلبي ارتاحلها من قبل ما اشوفها، البنت اللي ترضى بحالك تبقا شارياك، حدد معاد مع عمها يا (سامي).

اقترب منه (سامي) يقبل وجنتيه، وقال في حماس:

ــ حاضر يا أعظم أب في الدنيا كلها.

شاركه والده الحماس:

ــ احكيلي عنها بقى.

كان (آدم) يستمع من خارج الغرفة إلى هذا الحوار، وابتعد ليدخل غرفته في حزن وحقد من شدة جمال ما سمع، لم يعد قادرًا على مواصلة الاستماع..

(آدم) يعلم أنه حقود، ولا يمكن أن يلوم نفسه على هذا الشعور!

يرى فى أخيه كل ما ينقصه!

بينما أخذ (سامي) يحكى لأبيه عن (ملك) وعن موت والدها في طفولتها، وكيف كرست أمها عمرها بالكامل لرعايتها، وكيف أن (ملك) تملك الكثير من المال، ولكن ليس لها الحق في التحكم فيه؛ فهي لم تبلغ الواحد وعشرين من عمرها بعد.

ــ بس يا بني دي غنية جدًّا على كدا!

ــ أيوة يا بابا، أبوها كان راجل مهم في الدولة لحد لما استُشهِد فى حادث إرهابى من عشر سنين.. عمها برضه لواء كبير، بس هي راضية ما تقلقش، ومامتها راضية، وعمها ما لوش الحق إنه يعترض في ظل موافقتها

هي ومامتها، دا غير إن ما فيش سبب يخليه يرفض.

ابتسم والده في راحة:

ــ على بركة الله.

رن هاتف (سامي) فوجدها (ملك) فنظر لوالده:

ــ ثواني هرد عليها.

وابتعد قليلًا وأجاب عن الاتصال قائلًا:

ــ آلو.

ردت عليه في قلق:

ــ أيوة يا (سامي).

لم ينتبه لنبرة القلق في صوتها، فقال:

ــ أنا حكيت لبابا خلاص ومش فاضل غير إني أكلم عمك آخد منه معاد.

تصمت (ملك) قليلًا، قبل أن تقول في تلعثم وخوف:

ــ عمي لسه قافل المكالمة مع ماما دلوقتي.

تساءل في حيرة:

ــ إيه المشكلة ؟

ــ قال لماما إنه عايز يجي هو و(خالد) بكرة عشان يطلبوا إيدي!

جلس (هاشم النويهي) وابنه (خالد) على هذه الأريكة الفاخرة في منزل (ملك) التي لم تكن موجودة، وبررت والدتها الأمر قائلة لهما:

ـ (ملك) في أوضتها هناديها اهو.

ابتسم العم:

ـ لا يا أم (ملك) ما تستعجليهاش، سيبيها على راحتها.

لم تمر دقيقة عندما أقبلت (ملك) متوترة وصافحت (خالد)، وصافحت عمها واحتضنته فقبلها على خدها:

ـ إيه الجمال دا كله دا!

ابتسمت هي في خجل وسعادة من مدح عمها، ولكنها كانت تخشى الموقف، منذ صباح اليوم وهي ووالدتها يحاولان أن يصلا لطريقة غير مهينة لرفض (خالد)، ولكنهما لم يجدا، لا توجد طريقة مهذبة!

لم ينطق (خالد) منذ قدومهما سوى ببعض الكلمات الضرورية مثل"الحمد لله"و"إزيكم"، بينما ظل الحديث محصور بين العم ووالدتها في معظم الأحيان، وقليلًا ما شاركتهما (ملك)، حتى تنحنح العم بعد وقت مناسب ليبدأ في الموضوع الأصلي، وقال ناظرًا لـ(ملك):

ـ طبعًا النهاردا كنت أتمنى يكون والدك موجود، دا ما كانش أخويا وبس.. دا هو اللي مربيني والله، بس أنا عايزك تعامليني على أساس إني أبوكي يا (ملك)، حتى لو زعلك في يوم تيجي تكلميني على أساس إني أبوكي أنتِ مش أبوه هو.

اومأت (ملك) برأسها، وردت والدتها في ترحاب:

ـ طبعًا يا (هاشم)، (ملك) طول عمرها بتعاملك زي أبوها.

أشار (هاشم) إلى ابنه وقال:

ـ النهاردا يوم سعيد، وإن شاء الله يكون فتحة خير، جاي أطلب إيد بنتي (ملك) لإبني (خالد).

على الرغم من أن الجميع كان يعرف هذا فإنه كان يجب أن يُقال، وكان (خالد) يجلس في زهو، وأضاف والده في ثقة:

ـ والعروسة تطلب زي ما هي عايزة، وطلباتها كلها مجابة.

ظلت (ملك) صامتة، بينما قالت والدتها:

ـ (خالد) عريس أي بنت تتمناه.

كانت العبارة مبهَمة، فهزت ثقة (خالد) في نفسه، وظهرت الحيرة على وجه العم الذي عقد حاجبيه ورد:

ـ و(ملك) عروسة أي راجل يتمناها!

ونظر لـ(ملك) قائلًا بصوت قوي وحازم:

ـ قلتي إيه يا عروسة ؟!

شعرت (ملك) أنها لم تعد قادرة على التنفس حتى، وفقدت قدرتها على النطق، وارتعش جسدها قليلًا، وشعرت والدتها بها فبادرت قائلة:

ـ أنا بقول العروسة لازم تاخد وقتها في التفكير وفي الـ...

قاطعها اللواء (هاشم) في صرامة واستنكار:

ـ وهي لسة هتتعرف على ابن عمها وتفكر فيه ؟!

كان الغضب واضحًا على (خالد) الذي اعتدل في جلسته، وأخيرًا نطق هاتفًا في حدة:

ـ إلا لو في حد تاني في حياتها!

التفت له الجميع وصاحت (ملك) في عصبية لم تُفقدها رقتها، وهي تشير بسبابتها:

ــ أنا ما اسمحلكش!

ولم تستطع أن تكمل لأن والدتها رفعت صوتها عليه مكملة بدلًا عنها:

ــ (خالد)، خلي بالك وأنت بتتكلم على (ملك) و...

قاطع (هاشم) الجميع بصوته المتزن القوي:

ــ بس!

والتفت لـ(خالد) لينهره:

ــ إياك تتكلم بطريقة مش كويسة عن بنت عمك.

هز (خالد) رأسه في احترام، وقال مدافعًا عن نفسه:

ــ أنا آسف يا جماعة، أنا أقصد إن ممكن يكون في حد في حياتها عايز يتقدملها ويتجوزوا!

أوشكت (ملك) أن تقول أن هذا صحيح بالفعل، إلا أن العم قال له بطريقة متسلطة وحاسمة:

ــ (ملك) مش هتسيب ابن عمها وهتروح تتجوز راجل غريب!

أدركت (ملك) أنه قد تعمد أن يقول هذه العبارة بوضوح لها ولوالدتها على الرغم من أنه يوجه الكلام لابنه.. إنها عبارة فظة.. إنه يسلب إرادتها في دهاء!

توترت (ملك)، وقالت الأم في ارتباك:

ــ أنا أقصد يا (هاشم) إن (ملك) لازم تاخد وقتها وتحاول تتعرف على

(خالد) من وجهة نظر جديدة ومختلفة، مش كأبن عمها، ما تنساش إنها متربية معاه وطول الوقت كانوا بيتعاملوا زي الاخوات.

هز العم رأسه متفهمًا:

ــ طبيعي جدًّا، حقها تقابله ويخرجوا وتتعرف عليه أكتر وأكتر لحد لما نحدد معاد الخطوبة.

ونهض ليعلن انتهاء الحوار:

ــ ألف مبروك للعروسة والعريس، والخطوبة نعملها الأسبوع الجاي أو اللي بعده حسب لما (ملك) تقدر تتفق مع صحابها و...

فاجأت (ملك) الجميع عندما قاطعت عمها قائلة بصوت مرتفع:

ــ لأ.

كانت قد استجمعت شجاعتها كلها في هذه الكلمة، ونظر لها عمها نظرة مرعبة، وتوترت والدتها لأقصى درجة، بينما وقف (خالد) مثل أبيه في حدة، فنقلت (ملك) نظرها إلى (خالد) وهي تحاول ألا تتلعثم وقالت باتزان:

ــ أنا آسفة يا (خالد)، أنت ابن عمي الغالي عليا، لكن عمري ما هقدر أبصلك كخطيبي أو جوزي، أنا بشوفك طول عمري أخويا، وصدقني حاولت أشوفك حاجة تانية وما قدرتش، وأنا واثقة إنك هتفهم وهتقـ..

قاطعها عمها في حدة:

ــ إجابتك وصلت يا (ملك).

ونظر لـ(خالد) ابنه قائلًا بلهجة آمرة:

ـ يلا بينا.

رمقها (خالد) بنظرة جافة وغاضبة ومرعبة كأنه يتوعد لها، وهو يتبع أباه إلى الخارج، بينما أخذت تحاول الوالدة تهدئة الموقف وهي تصل بهم لباب المنزل:

ـ (ملك) ما تقصدش.. دي بتعز (خالد) أوى وطول عمرها تقولي إنه أخوها وربنا يعلم.

رد العم في عصبية:

ـ خلاص يا ست (إحسان).

وانصرف مع ابنه وأغلقت والدتها الباب خلفهما، والتفتت لـ(ملك) التي كانت جالسة مكانها لم تتحرك وهي غير قادرة على صرف نظرة (خالد) الأخيرة عن بالها..

وكان لها كل الحق أن تقلق من هذه النظرة الشيطانية.

أخذ (آدم) يضرب الحائط بقوة في غرفته وهو يبكي في غضب وحقد وغيظ ليس لهم حدود..

أخوه (سامي) من كان يخبره منذ أقل من شهرين أنه لن يقع في الحب أبدًا ويراه ضعفًا، سوف يذهب لطلب يد حبيبته خلال أيام!

الجميع سيرحل عنه وسيمضي قدمًا إلا هو، سيظل حبيس عشقه حتى تتركه (سلمى) وترحل، فيرحل هو وقتها عن العالم كله.

لقد رفضت (ملك) ابن عمها الغني صاحب النفوذ من أجل حبها لأخيه

(سامي)، بينما يخشى هو أن يكون السبب الوحيد الذي يبقي (سلمى) في علاقتها معه، هو أنها ليست واثقة بالشكل الكامل أن (حسام دياب) على استعداد أن يتزوجها فعلًا!

شعر بالغثيان من بشاعة الفكرة ومدى اشمئزازها.. لا يجب عليه أن يظل منتظرًا اللحظة التي تتخلى فيها (سلمى) عنه لأنه لم يعد كافيًا، كم هو مقزز نفسيًّا أن تشعر أنك لست كافيًا في نظر من ترى أنه العالم بأكمله!

ولكن إذا لم يستطع جعل نفسه رائعًا بشكل يساوي روعتها، فيجب أن يقلل من روعتها حتى تصبح هى في مثل روعته المتواضعة!

بمعنى أدق، إذا منعها من الوصول لمكانة كبيرة وكسر نفوذها الذي يزداد، فلن يكون أمامها اختيار سواه.. خصوصًا (حسام دياب)!، يجب أن يغلق هذا الباب تمامًا، (بالضبة والمفتاح) كما يقولون، لا يمكن أن يعيش تحت هذا التهديد، يجب على (سلمى) ألا تكمل في عملها بهذه القناة!.. حتى لو كان هذا يعني تركه هو أيضًا للقناة، فلن تكون أزمة ما داما سيكونان عاطلين بلا مال أو عمل، فوقتها لن يكون أمامها اختيار سواه، وسيتحول من اختيار بديل لاختيار جيد!.. والاختيار الوحيد!

استيقظ صباحًا واستعار سيارة (سامي) ليقوم ببعض التوصيلات، ثم اتجه إلى قناة (المستقبل) التي كانت يومًا ما ملكًا لوالده!

داخل المبنى الأول للقناة كان هو يحاول الوصول لمكان عمله خلال هذا الزحام في الممر الرئيس في المبنى، حين قابلته (سلمى) التي أقبلت عليه مسرعة:

ـ (آدم)، امسك، دا التقرير اللي هيتذاع النهاردا في حلقة (حسام دياب).

ناولته (الفلاش)، وأضافت:

ـ خلي بالك التقرير أنا عملته زي ما أنت قلتلي، صادم جدًّا وجريء، وما دفعتش ولا مليم للناس وخليتهم يقولوا رأيهم بصراحة، عليك وعلى المونتاج بقى!

ابتسم لها وقال قبل أن يبتعد عنها ليدخل مكتبه:

ـ ما تقلقيش يا حبيبتي.

ابتسمت (سلمى) في اطمئنان؛ فهي تعلم جيدًا أن (آدم) لا يمكن أن يؤذيها، لكننا أكثر نباهة منها ونعلم جيدًا أن (من الحب ما قتل)!

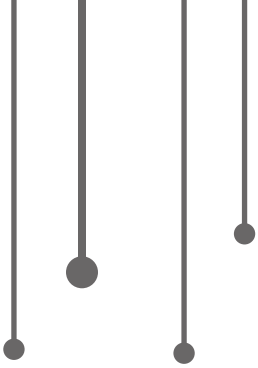

كيف استطاع إبليس إقناع آدم أن يأكل من الشجرة؟

هل تذوقها بدافع الفضول؟

أم ليرى الإبهار في عيني شريكة خلده؟

الوعد

استلقى (حسن غنيم) على هذا المقعد المريح يشاهد برنامج (حسام دياب) مباشرة على التلفاز في ردهة المنزل، وكان (حسام دياب) يتحدث في حرقة على الشاشة:

- لازم يكون في إحساس بالناس، إحنا مستنيين مداخلة الوزير عشان يفهمنا الناس تتصرف إزاي دلوقتي، وواجبنا ما نحكمش على القرار إلا لما نسمع الوزير وليه خد قرار زي دا؟

يضحك (غنيم) في تهكم مغمغمًا محدثًا نفسه:

- وطبعًا الوزير هيطلع يقول كلام أنت عارفه مسبقًا، وأنت هتندهش وتقول إنك اقتنعت، عشان الناس اللي بتصدقك تقتنع زيك، بعد ما تبقى شافت إنك كنت الأول مش عاجبك القرار زيهم، ممثل بارع!

يكمل (حسام دياب):

ـ ودلوقتي هنعرض لحضراتكم تقرير من الشارع، عشان نشوف هي الناس فعلًا متضايقة من القرار، وقد إيه هما متأذيين، ويا ترى كام واحد مؤيد للقرار وكام واحد معارض؟ هسيبكم مع التقرير.

وبدأ عرض التقرير على الشاشة وظهر المواطن الأول، وكان غاضبًا وبدأ هجومًا شرسًا على الحكومة، فعقد (غنيم) حاجبيه وهو يشاهد متعجبًا، فلم يتوقع هذا الهجوم الشرس الذي بدا له واقعيًّا، غير موجه أو مسيس كما توقع.

وظهر المواطن الثاني ثم الثالث، وكانت (سلمى) على الشاشة هي من تسأل المواطنين، وزادت دهشة (غنيم) لأقصى حد، خصوصًا وهو لم يبنِ رأيه عن (حسام دياب) من مجرد تكهنات، ولكن من خلال حكايات (آدم) له، فهو المسؤول عن المونتاج وترتيب ما يُعرض على الشاشة والمداخلات التليفونية وما شابه.

بعد انتهاء التقرير كان القلق واضحًا على ملامح (حسام دياب)، الذي كان الغيظ ينهشه، والندم؛ لأنه لا يراجع التقارير بنفسه قبل الحلقة، وقال في توتر:

ـ دلوقتي احنا منتظرين مداخلة الوزير لسة بعد التقرير دا؛ لإن واضح إن غضب الناس كان كبير واحنا محتاجين نعذرهم على الرغم من مبالغتهم، لكن هي الناس كدا مش بترحم لما بتقرب من لقمة عيشها، نأمل أن الوزير يوضح لينا عشان الناس تهدا وتفهم وتعذره على القرار دا.

وواصل (حسام دياب) الحديث محاولًا تهدئة الموقف بعد التقرير الذي صدمه.

ومن داخل غرفة العمل، وضعت (سلمى) يدها على فمها في ذهول ورعب وصرخت:

ــ يا نهار أسود!

كان (آدم) ممسكًا بالميكروفون المربوط بالسماعة التي يضعها (حسام دياب) في أذنه أثناء تقديمه للحلقة، فقال (آدم) محدثًا إياه:

ــ الوزير يا أستاذ (حسام) جاهز للمداخلة ومعانا على الخط.

فقال (حسام) أمام الكاميرا:

ــ طيب الوزير معانا على التليفون، أيوة يا سيادة الوزير ممكن توضح للناس إيه حيثيات القرار دا؟

نعود مرة أخرى لغرفة العمل، حيث كانت (سلمى) في أكثر أوقاتها خوفًا وارتباكًا وجذبت (آدم) من ملابسه وسط زملائهم وهتفت:

ــ أنت مش قلتلي هتظبط التقرير؟! دا أنت سلمته زي ما هو تقريبًا!

وضع (آدم) إصبعه على الميكروفون حتى لا يصل الصوت إلى أذن (حسام)، وقال لها:

ــ إيه يا (سلمى)؟! أنا متأكد إنه اتبسط من قوة التقرير وإن الناس هتتكلم عن الحلقة كتير النهاردا.

تخيلت (سلمى) ما سيفعله الإعلامي (حسام دياب) بها بعد انتهاء الحلقة، فهتفت بخطيبها في حسرة:

ــ الله يخربيتك! الله يخربيتك!

بينما أكمل (آدم) عمله، لقد فعل ما خطط له بدقة، وما توقعه حدث

بالفعل، فبمجرد أن انتهى (حسام) من الحلقة حتى اتجه لغرفة العمل في غضب وفتح الباب، وصاح في (آدم) أمام زملائهم:

ــ أنت يا حيوان! أنت بتشتغل بمزاجك ؟!

اهتز (آدم) وقال مبررًا:

ــ أنا شفت إن التقرير هيكون كويس و...

تراجعت (سلمى) في خوف لتترك (آدم) وحده في مواجهة (حسام) الذي نظر لـ(سلمى) وأكمل بصوته الجهوري مقاطعًا ما كان يقوله (آدم):

ــ وأنتِ مستقبلك المهني انتهى، أحسنلك تشوفي شغلانة تانية، روحي اشتغلي رقاصة أو حاجة تعرفي تعمليها!

وأشار لـ(آدم) وقال في لهجة آمرة:

ــ أنتم الاتنين مطرودين، ولولا تاريخ أبوك كان زماني ما طردتكوش وبس! لإني عارف كويس إنكم عملتوا المصيبة دي عن عمد، والحمد لله إنها جت على قد كدا والوزير عرف يلمها.

كان هذا بالظبط ما يريده (آدم)، الآن أصبح هو و(سلمى) في مركب واحدة وليس لأحدهما سوى الآخر.

صرخت (سلمى) مدافعة عن نفسها وسط أنظار الجميع واستمتاعهم بالمشهد المثير:

ــ دي كانت فكرة (آدم) لوحده والله، وهو قالي هيظبط التقرير قبل عرضه، أنا ما ليش ذنب أنا!

جرحت العبارة (آدم) وهو يرى حبيبته تحاول النجاة بنفسها، بينما

تجاهل (حسام دياب) ما قالته (سلمى)، ونظر إلى (آدم) قائلًا بصوت صارم:

ــ أنت ما ورثتش حاجة من أبوك خالص؟ أنا ما اعرفش أنت ابنه إزاي! أنت شخصية مهزوزة وضعيفة، أبوك كان راجل قوي وذكي مع إني ما كنتش متفق معاه في اللي بيعمله وكنت عارف إنه هينهي نفسه بإيده، زي ما حصل فعلًا!.. كان عنده كرامة وكبرياء ومبادئ فى زمن مبقاش يعرف الكلمات دى.. كان فاكر نفسه لسة عايش فى الخمسينيات!

شعر (آدم) بالإهانة ولم يعد يجد سببًا لصمته وتقبله الإهانة هذه المرة، فرد في عصبية:

ــ والله الشخصية الضعيفة فينا اللي خاف من تقرير لمجرد إنه حقيقي!

لم يرد عليه (حسام)، وصمت قليلًا ثم نظر لهما باستحقار:

ــ ما اشفكوش في القناة دي تاني.

وانصرف من المكان، فنظر (آدم) لحبيبته آملًا أن يجدها تنظر له في احتياج، إلا أنها كانت تنظر بعيدًا في صدمة.. فلقد انتهى كل ما كانت تأمله!

تهللت أسارير (سامي) من فرط السعادة وهو يستمع لـ(ملك) وهي تحكي تفاصيل ما حدث، وهما يجلسان في كافيه (كوستا) كما اعتادا، وقالت (مي):

ــ على وضعك والله يا (ملك)، كان لازم ترفضيه وقتها كدا فعلًا.

ردت (ملك):

ــ أنا كنت متفقة مع ماما قبل ما عمو و(خالد) يجوا أننا هنقولهم هنشوف وكدا ونبقى نرفض بعدين على الموبايل، على أساس نتفادى المواجهة وما يبقاش شكلها وحش، بس لقيت نفسي بقول (لأ) مرة واحدة كدا!

ابتسم (سامي) في فخر:

ــ أنا حبيت أعظم بنت في الكون.

ابتسمت (ملك) في سعادة وحياء، وأخرج (سامي) ولاعة ليشعل سيجارة، إلا أن (ملك) اختطفت الولاعة من يده وظهر على وجهها غضب يعشق تأثيره على ملامحها الرقيقة، وقالت:

ــ سجاير برضه؟

تقول (مي) في ملل:

ــ ياما حاولت أخليه يبطلها، ما فيش فايدة فيه.

رد (سامي) مبررًا:

ــ أنا واحد مفصول من الجامعة وشغال على عربية، من حقي أكون بشرب سجاير يعني.

ثم أضاف مازحًا:

ــ ما تتخيليش الدخان بيلهمني قد إيه وبيساعدني أفكر في مستقبلي.

ضحكت (مي) في تهكم، بينما قالت (ملك) في إصرار:

ــ يعني أنا مش كفاية عندك عشان أكون سبب إلهامك وأخليك تفكر

في مستقبلنا ؟!

ــ يا حبيبتي مش كدا والله، أنتِ فهماني غلط.

ردت (ملك) في صرامة:

ــ كل اللي أقدر أقولهولك إن السجاير بتقصر عمرك، لو موافق إنك تقصر العمر اللي هتقضيه معايا يبقى اتفضل اشرب.

قالتها وهي تمد يدها لتناوله الولاعة، وظهر على (سامي) أن العبارة هزته، وابتسمت (مي) في إعجاب من صديقتها وأسلوبها القوى في الإقناع.

فعلًا الحب الحقيقي كافٍ لتغييرك.

لم يستطع (سامي) بعدما سمع أن يشعل السيجارة، وأسعدتها (ملك) نظرة الحيرة التي ظهرت عليه.

قصف (سامي) السيجارة، وألقى بالولاعه بعيدًا ثم نظر لـ(ملك) قائلًا في حزم:

ــ أوعدك إني مش هحط سيجارة تاني في بؤي، أنا أعمل أي حاجة مقابل ثانية زيادة في عمري معاكي يا (ملك).

قالت (ملك) له في عشق:

ــ بحبك.

نهضت (مي) وتنحنحت:

ــ طب أخلع أنا بقى عشان ما احسش إني عزول، وأروح احضر المحاضرة باحترامي.

ضحكت (ملك)، وقال (سامي) في مرح:

ــ الحمد لله اتفصلت من الجامعة وما عدتيش هتقوليلي تعالى احضر!

ضحكت (مي) ونظرت لـ(ملك):

ــ شكلك مش هتيجي معايا الجامعة صح ؟

أجابت (ملك) وهي مبتسمة في خجل:

ــ لا الصراحة ما ليش مزاج احضر النهاردا، هقضي اليوم مع (سامي).

نظرت (مي) لهما في حب وقالت:

ــ يا عم يا عم، ربنا يرزقني بحب كدا!

ضحكا، وغادرتهما (مي)، بينما اهتز هاتف (سامي) المحمول فأجاب مستمعًا لصوت (عمر):

ــ أيوة يا سمسم، أنت معاك العربية ؟

ــ لا والله يا (عمر) مش أنا اللي شغال على العربية دلوقتي.

ــ يعني هروح بتاكسي ؟! أنت عارف هياخد مني كام ؟! دا أنا أروح مشي احسنلي.

ــ لا تاكسي ولا حاجة، اتصل بـ(آدم) يعدي ياخدك بالعربية.

ــ نعم ؟! هو (آدم) اللي واخد العربية منك ؟!

ــ تخيل ؟! شغال عليها يا سيدي عشان يزود دخله ويتجوز حبيبة القلب.

ــ خليه كدا يمرمط نفسه وفي الآخر هتديله بومبة، دي بت جاحدة وزبالة.

ـ ربنا يشفيه من حبها يا عم!

ـ عامة ماشي، أنا هتصل بيه يعدي عليا، بس أنت أصلًا فين بقى؟

نهض (سامي) وابتعد قليلًا قبل أن يرد عليه:

ـ مع (ملك) في كافيه (كوستا).

ـ أيوة بقى علينا.

واستمرا في الحوار دقيقتين حتى اضطر (سامي) لإنهاء المكالمة، ليعود لـ(ملك) قائلًا:

ـ معلش كنت بكلم (عمر)، أصله بيحب يعرف الأخبار أول بأول.

ابتسمت في إعجاب:

ـ أنا حقيقي مبسوطة إنك قريب من (عمر) كدا، ومن (رنا) كمان.

ـ (آدم) و(دينا) برضه حلوين والله بس مش بندمج معاهم أوى يعني.

ـ كان نفسي يبقى عندي اخوات.

قال في تعاطف:

ـ اعتبريهم زي اخواتك بالظبط، أنا متأكد إنهم هيحبوكي.

ونظر (سامي) في عينيها بحب:

ـ ما حدش يشوفك وما يحبكيش.

وصمت قليلًا وأضاف في جدية متأملًا ملامحها:

ـ أنا بجد فخور باللي أنتِ عملتيه النهاردا.

ظهر الامتنان على (ملك)، ثم قالت في قلق:

ـ بس أنا خايفة من رد فعل عمي أو (خالد)، حاسة إنهم كدا هيقطعوا

علاقتهم بيا أنا وماما.

أمسك (سامي) يدها:

ــ أنتِ مش محتاجة حد غيري طول مانا موجود.

كانت تثق هي بكل كلمة تسمعها، وأضاف هو في جدية وصدق وهو يضغط على يدها برفق ليشعرها بالأمن والحنان معًا:

ــ الدنيا كلها مش هتقدر تبعدك عني يا (ملك)، دا وعد، وغلاوتك عندي هحافظ عليه لآخر يوم في عمري.

نزلت دمعة من عين (ملك) من شدة تأثرها، ولكن كان السؤال الحقيقي: هل يمكن لأحد أن يقطع مثل هذا الوعد في تلك الدنيا السيكوباتية التي نعيش فيها؟!

هل الحياة عادلة حقًّا؟!

هل يستطيع شاب أصبح بسيطًا مثله أن يظفر بفتاة غنية ذات حسب ونسب مثلها؟!

قد نترك الأسئلة لحضراتكم بدون إجابة، ولكننا سنجيب عنها لكم لنتأكد أنكم تعرفون الإجابة الصحيحة!

لا، الحياة ليس عادلة ولم تكن يومًا بسيطة، والأحلام الوردية لا وجود لها في عالمنا إلا عندما تتحطم وتذبل وتموت!

لأكثر من عشرين دقيقة ألح (آدم) على (سلمى) أن تسير معه على النيل أو يذهبا إلى كافيه ليتشاركا اللحظة البائسة بعد طردهم من

العمل، إلا أنها أبت وأصرت على أن تعود لمنزلها لأنها تريد أن تكون بمفردها.

أغضبه هذا، ولكنه قرر أن يترك لها مساحتها الشخصية، فهي في النهاية لم يعد أمامها سواه، فقد نجح مخططه و(حسام دياب) لم يعد خيارًا متاحًا بالتأكيد.

اهتز هاتفه المحمول، فوجد (عمر) يتصل به، فأجاب:

ـ أيوة يا (عمر).

ـ (آدم) باشا، أنت فين دلوقتي ؟

ـ عند القناة، في حاجة ولا إيه ؟!

ـ خلصت شغل طيب ؟!

ضحك (آدم) في سخرية:

ـ آه يا اخويا، خلصت شغل خالص!

ـ نعم ؟!

ـ لا ما تشغلش بالك.

ـ طب أنا كنت عايزك تعدي عليا بالعربية أصلي في مكان بعيد شوية والتاكسي لو ركبته من هنا هيبقى غالى، واتصلت بـ(سامي) قالي إن العربية معاك أنت.

ـ اها معايا وكنت هشتغل بيها شوية دلوقتي.

ـ أنا أولى يا عم.

ـ لو هتحاسبني ماشي.

ضحك (عمر):

ـ هحاسبك حاضر، عاوز كام؟!

ـ لأ مش فلوس، عايزك تيجي تختار معايا قميص حلو كدا.

ـ بس كدا؟ دا أنت تؤمر، عدي عليا يلا هبعتلك (اللوكيشن) بتاع الكافيه دلوقتي.

ـ إشطه.

أنهيا الحوار، واتجه (آدم) ناحية السيارة وبعد ساعة كاملة كان أمام الكافيه، ورأى من خلال نافذة السيارة أخاه (عمر) مع زميلته (سارة)، يجلسان معًا، وكانت تمسك بكتاب دراسي وتختبره، ويبدو أن (عمر) لا يتذكر الإجابة.

ابتسم (آدم) وهو يرى أخاه الصغير في براءة يقضي لحظات رومانسية جميلة، وتذكر ذكرياته الأولى مع (سلمى)، وكيف كانت أفضل لحظات له في تلك العلاقة، هل كانت الأفضل لأنها كانت اللحظات الأولى؟!

أم لتدهور حاله وبالتالي تدني نظرتها له؟!

ضرب (آدم) الكلاكسات فانتبه (عمر) والتفت ليرى السيارة أمام الكافيه، فنهض يدفع الحساب وأمسك يد (سارة) وهما يغادران الكافيه وفتح لها الباب الخلفي، فركبت (سارة) وركب (عمر) بجوار شقيقه وقال:

ـ دا بقا ياستي (آدم)، أخويا الكبير.

مدت يدها من الخلف تصافحه وقالت في سعادة:

ـ (عمر) علطول بيحكيلي عنك، أنا بجد مبسوطة إني قابلتك.

رد (آدم) في مجاملة:

ـ ربنا يخليكي، أنا أكتر.

قال (عمر):

ـ ممكن نوصل (سارة) على السريع قبل ما نروح نجيب هدوم بقى ؟

قال (آدم) وهو يضغط على أسنانه:

ـ كدا حسابك تقل.

ضحك (عمر) بصوت مرتفع حتى لا تنتبه (سارة)، ونكز أخاه:

ـ عشان ألف معاك في المحلات براحتنا وما اشتكيش.

ساعة أخرى مرت حتى وصلوا إلى منزل (سارة)، فعادت (سارة) تصافح (آدم) وهبطت من السيارة، وهبط (عمر) معها واقترب منها هامسًا:

ـ إيه ما فيش اتفضل معايا ؟!

ضحكت هي في خجل، ولوحت بيدها له وهي تدخل العمارة السكنية، فعاد (عمر) يركب بجوار أخيه، وتنهد في هيام:

ـ آآآه!

قال (آدم) في استخفاف:

ـ لا والله ؟!

ضحك (عمر) وقال:

ـ ما بلاش أنت تتريق، يلا بينا على محل الهدوم يا عم عشان نختار القميص اللي هيعجب (سلمى).

تحرك (آدم) بالسيارة، وتساءل:

ـ بما إنك بقيت رومانسي كبير، عايز اسألك سؤال كدا.

التفت له (عمر) في اهتمام:

ـ اتفضل اسأل.

ـ أنت شايف إن فعلًا التنازل عشان حبيبتك غلط ؟

استغرق (عمر) وقتًا في التفكير، وأجاب:

ـ بالعكس، أنا شايف إن التنازل هو أصل من أصول الحب.. العند هو أكتر حاجة ممكن تهدم العلاقة.

ظهر على (آدم) الإعجاب والتأييد، ولكن أكمل (عمر):

ـ يعني مثلًا (سامي) لسه كان معايا على الموبيل من شوية وقالي إنه قرر إنه يبطل تدخين عشان خاطر (ملك)، اللي كان كلنا نفسنا (سامي) يعمله هي قدرت تخليه يعمله بالسرعة دي، شوفت جمال الحب؟!، شفت يقدر يغيرنا للأحسن إزاي؟ أنا مثلًا بقيت بذاكر أهو وعندي أمل ادخل هندسة، تتخيل دي؟

كانت الغيرة تنهش في (آدم)، إلا أنه أخفاها، بينما أضاف (عمر) بلهجة ذات مغزى:

ـ بس في نوع تاني من التنازل مش مقبول.

ـ زي ايه ؟!

ـ شوف يا (آدم) أنا ممكن اتنازل عن أي حاجة عشان حبيبتي، حتى مبادئ معينة، لكن ما ينفعش اتنازل عن حاجة واحدة، عن نفسي، خصوصًا لو كان شرط بتشرطه عليا عشان العلاقة تكمل، أو عشان أكون

على المستوى المطلوب، أصل معلش يعني لو حبيبتي بتحبني لما بكون بس على المستوى، يبقى دا مش حب أصلًا، لو حبت فيا شكلي ومكانتي بس، يبقى سهل أوي كل دا يروح وساعتها كل حاجة هتنتهي.

توتر (آدم) لأنه شعر أن الكلمات تمسه:

ــ بس هي حقها تشترط مثلًا مستوى مادي أو كدا يليق بيها ويضمنلها الأمان والمستقبل.

تذكر (عمر) حواره مع والده، فقال مقتبسًا من حديث والده:

ــ الحب المشروط لا يمكن يكون حب حقيقي.

وصمت قليلًا قبل أن يضيف:

ــ الفلوس مش هتضمنلها حاجة، لو هي بتحبك مش هتفكر في أي حاجة غير إنك تكون جمبها، ما فيش حاجة هتضمنلها الأمان غير كدا.

كان كلامه يهز (آدم) من داخله بقوة، ويثير شكوكه التي يحاربها يوميًّا، واستمر الحوار طويلًا، في الوقت ذاته في منزلهم، استيقظ الوالد من سباته العميق على صوت ابنه (سامي) وهو يهزه هاتفًا في فزع:

ــ البيت بيولع يا بابا، البيت بيولع!

انتفض الوالد صارخًا:

ــ اهرب أنت واخواتك من على السلم بسرعة، واتصل بالشرطة بلغها و...

تعالت ضحكات (سامي) وهو ينظر لأبيه الذي بتر عبارته، عندما استنتج الخدعة المعتادة فقال في غضب مضحك:

ـ آه يا بن الكلب! ما فيش فايدة برضه ؟!

ـ طول ما بتقولي دايمًا اتصل بالشرطة مش بالمطافي مش هبطل أعمل الحركة دي فيك!

تنهد الوالد في بطء محاولًا أن ينفض عن نفسه الرعب الذي أدخله عليه ابنه، وهنا دخلت الغرفة ابنتاه واقتربا من والدهم يحتضناه، وقالت (رنا):

ـ صباح الخير يا بابا، مش هنتغدى بقى ؟!

رد عليها الوالد:

ـ نتغدى إيه بقى! أخوكي كان هيخليني أروح فيها يا (رنا)!

طبعت قبلة على جبينه في حب:

ـ بعد الشر عليك يا حبيبى.

بينما قالت (دينا):

ـ يبقى أكيد عمل فيك مقلب الحريقة.

غمز لها (سامي) قائلًا:

ـ وبرضه بيصدق، ما بيتعلمش أبدًا أبوكي دا يا (دينا)!

ـ ولسل برضه بيقولك تتصل بالشرطة ؟

أومأ لها برأسه وهو يضحك، وهنا اهتز هاتفه المحمول فأخرجه ووضعه على أذنه قائلًا:

ـ أيوة يا (آدم).

يبدو أنه سمع شيئًا غير سار على الإطلاق؛ فقد اشتد (سامي) في وقفته فجأة، وتغيرت ملامح وجهه تمامًا، وهو يهتف في قلق:

ـ إيه ؟! بتقول إيه ؟!

ظهر القلق على الأختين، بينما صاح الوالد في جزع:

ـ خير في ايه ؟! ماله (آدم)؟!

بينما قال (سامي) في سرعة وارتباك عبر الهاتف:

ـ طيب طيب، أنا جاي اهو.

وأنهى المكالمة و(رنا) تصيح به:

ـ ما تنطق يا (سامي) ماله (آدم)؟!

نظر لهم في توتر:

ـ عمل حادثة بالعربية.

شهقت (دينا)، وتراجعت (رنا) في خوف، بينما انتفض الوالد من مكانه، حتى أضاف (سامي) ليطئمنهم:

ـ هو في المستشفى بس هو كويس ما تقلقوش، وبيقول ممكن يطلع دلوقتي عادي.

ظهرت الراحة على الأختين، ووضع الوالد يده على قلبه في اطمئنان مغمغمًا:

ـ الحمد لله! ربنا ستر.

لكن (سامي) لم تبدُ عليه الراحة التامة، وأكمل في بطء:

ـ المشكلة مش في كدا.

تساءلت (رنا):

ـ أومال في إيه ؟!

أجاب (سامي) وفي نبرة صوته ما يوضح مدى فداحة الأمر:

ــ العربية خرجت من الحادثة متدمرة تمامًا.

ــ وفيها إيه ؟! مش دي مش عربيتك اصلاً ؟

ــ ماهي دي المصيبة، أنا ماضي عليها شيكات بنص مليون جنيه!

ساد الصمت المكان فجأة وتبادل الجميع النظرات لثوانٍ، حتى عاد (سامي) يهتف في جزع:

ــ احنا في كارثة!

احنا في كارثة!

دخل الوالد مع (سامي) و(دينا) و(رنا) المستشفى، واقترب الوالد ناحية الممرضة قائلًا في إرهاق وقلق متلعثمًا:

- لو سمحتي يا بنتي، أنا ابني جه هنا من شوية، ما تعرفيش هو فين؟!

- لا والله يا أستاذ، حضرتك ممكن تسأل عنه في الاستقبال.

اقترب منها (سامي) قائلًا في توتر:

- هو جاي في حادثة عربية من شوية، وفي دكتور من المستشفى اتصل بيا وطمني إنه كويس وإنه موجود هنا.

أدركت الممرضة الأمر فورًا، فقالت:

- أيوة الحادثة! موجود في الدور التاني الغرفة رقم ٣١ والغرفة رقم ٣٢.

تساءلت (دينا) في حيرة:

- غرفتين إزاي يعني؟!

أجابتها الممرضة:

ـ ماهو كان راكب في العربية اتنين يا فندم.

ثم تساءلت في اهتمام:

ـ قريب حضراتكم كان اللي سايق العربية ولا اللي راكب جمبه؟

أجابتها (دينا) فورًا:

ـ كان اللي سايقها أيوة.

تنهدت الممرضة في ارتياح وقالت:

ـ يبقى اتطمنوا هو مصاب إصابات خفيفة لكن كويس، يا عيني عليه الشاب الصغير اللي كان راكب معاه هو اللي مغمى عليه ومش عارفين يحددوا حالته لحد دلوقتي.

تنهد الوالد في ارتياح، وغمغمت (رنا) واضعة يدها على صدرها في راحة:

ـ الحمد لله!

إلا أن (سامي) عقد حاجبيه مفكرًا، وانتبه لشيء ما فجأة فصاح بالممرضة في فزع:

ـ (عمر)!

انتفضت الممرضة من شدة صوته، بينما التفتت له (دينا) في حركة حادة، وصاح الوالد:

ـ (عمر) ماله؟!

التفت (سامي) لهم مجيبًا وقد ظهر عليه الشعور بالذنب وقد امتلأت عيناه بالدموع:

ـ (عمر) كان هو اللي معاه في العربية! هو الشاب اللي هي تقصده دا!

ظهرت الصدمة على الأسرة، وقالت الممرضة في تعاطف:

ـ خير يا جماعة إن شاء الله هيقوم بالسلامة وممكن تطلعوا تطمنوا عـ...

ولم تكمل عبارتها؛ فقد اندفعت الأسرة بالكامل ناحية السلالم يصعدون في سرعة حتى وجدوا أنفسهم أمام الغرفة ٣١ بالفعل، فاندفعوا للداخل في لهفة وجزع، ليروا أمامهم (آدم) نائمًا على السرير مجبسًا ذراعه اليمنى، ومصابًا ببعض الكدمات، ولكنه كان مستيقظًا ولم يكد أن وقع نظره عليهم حتى ظهر في عينيه شوق وأمل وحب، ولكنهم خرجوا من الغرفة بسرعة مندفعين ناحية الغرفة المجاورة ٣٢، ولكنها كانت ممتلئة بالأطباء، ووجدوا (عمر) نائمًا على السرير فاقدًا الوعي وجسده موصل بأجهزة كثيرة جدًّا، مما يدل على خطورة حالته، وعلى الرغم من أن (رنا) لم تفهم الوضع فإنها صرخت بقوة وشاركتها (دينا) الصراخ، وكان الوالد يبكي بحرارة من شدة الموقف، وحاول الأطباء إخراجهم، إلا أن (سامي) حاول أن يقتحمهم محاولًا الوصول إلى (عمر) صارخًا:

ـ أخوياا!، (عمممر)!

تجمع الكثير من الناس والممرضات حول الغرفة من هول المشهد، وبكى (حسن غنيم) وهو يردد قائلًا كالمجنون:

ـ ما لحقتش اكملهالك يا بني، ما لحقتش اكملك حكاية أمك، كان نفسك تسمعها يا حبيبي، قوم يا (عمر)، قوم وهعملك اللي أنت عاوزه.

وصرخت (رنا) وهي تدفع الأطباء بعيدًا:

ــ سيبوني! أخويا يا ولاد الكلب!

لم يعرف الأطباء كيفية التعامل معها، فتركوها فاندفعت ناحية أخيها في عشق ولهفة، إلا أنها خشت أن تفصل بعض الأجهزة الموصلة بجسده، فمدت يدها فقط تتحس وجهه في حب وحنان وقبلته على وجنتيه، ودموعها تسقط على وجهه وهمست في حب:

ــ (عمر)!، قوم يا حبيبي!

واندفع الأمن ناحية الغرفة ليخرجوا (سامي) ففاجأهم بلكم أحدهم، إلا أنهم تملكوا منه وقاموا بإخراجه، وتحرك رجل أمن يجذب (رنا) من فوق جسد (عمر) قائلًا في حزم:

ــ لو سمحتي يا آنسة اتفضلى اخرجي وسيبي الدكاترة يقوموا بشغلهم.

وصلت أصوات الصياح والصراخ لـ(آدم) فى الغرفة المجاورة، فميز من بينهم أصوات أسرته، فحاول أن ينهض من سريره، وكان الأمر شاقًّا لكنه تماسك وفعلها، واستعاد اتزانه واتجه ناحية باب الغرفة، إلا أنه وجد ممرضة تندفع ناحيته وتهتف به في استنكار:

ــ يا أستاذ ما ينفعش تقوم غير لما الدكتور يدي تصريح ليـ..

قاطعها في عصبية:

ــ أنا كويس، وسعي.

خـرج من غرفته بيد مجبسة، فوجد أفراد أسرته جالسيـن أرضًا بجـوار غرفة (عمر)، فاقترب منهم وجلس أرضًا بجـوار شقيقـه (سـامي)،

الذي رفع نظره إليه دون أن ينطق وعاد ينظر أرضًا في ألم، فتساءل (آدم) في قلق:

ـ (عمر) ماله؟

أجاب (سامي) في بطء:

ـ ما نعرفش، بس مغمى عليه وبيقولوا حالته خطيرة.

لم يرد عليه (آدم) وأسند رأسه إلى الحائط، حتى اهتز هاتف (سامي) المحمول فأخرجه ونظر به، ولم يجب عن المكالمة، بل التفت لـ(آدم) في بطء وقال في قلق:

ـ دا صاحب العربية!

بلع (آدم) ريقه بصعوبة:

ـ هتقوله إيه؟!

ـ المستشفى لما كلمتني قالتلي إن العربية اتدمرت!

ـ وهتقول لصاحب العربية كدا؟ دا أنت ماضي على نفسك شيكات بنص مليون!

ـ الخبر تلاقيه وصله أصلًا، يعني مش مستنيني أحكيله.

ـ طب ودا معناه إيه؟

التفت له (سامي) بوجهه الشاحب وقال في صوت باهت:

ـ لو ما دفعتش النص مليون جنيه، يبقى الكلابشات هتتلف على إيدي قريب!

مرت ساعتان حتى استقر وضع (عمر)، وخرج من الغرفه طبيب في عقده الخامس وهو المسؤول عن الحالة، وأشار إلى والد (عمر) وأشقائه جميعًا ليلحقوا به إلى ركن هادئ في المستشفى، لينظر لهم جميعًا في رزانة وبعض من الشفقة، وهم ينظرون له في قلق وخوف وتوسل، وقال:

- أخوكم محتاج دعواتكم جدًّا، هو بدأ يستعيد وعيه لكن للأسف تحكمه في رجليه هيكون شبه معدوم.

شهقت (رنا) واضعة يدها على فمها، وصاحت (دينا):

- إيه؟!

وغمغم (سامي) مصدومًا:

- أخويا هيبقى مشلول؟!

رد الطبيب ليعطيهم أملًا:

- مؤقتًا.

هتف الوالد وقد نفد صبره:

- ما تقول يا دكتور (عمر) حالته إيه بالظبط وجعتلي قلبي!

قال الطبيب متعاطفًا:

- التلف كان نتيجة لرد الفعل الالتهابي اللي بيقوم بيه الجسم في أول ساعات بعد الإصابة، وللأسف النزيف الداخلي وارتشاح البلازما أدى إلى تورم المنطقة المصابة، التورم دا بيبسبب موت الأعصاب، بس احنا الحمد لله لحقنا الوضع قبل ما يوصل لكدا، حاليًّا هو هيحس إنه مشلول وممكن مع الوقت والعلاج يبدأ يشعر ببعض الإحساس

في رجليه، لكن في أمل كبير إنه يرجع يمشي عليها زي الأول، لكن دا هيتطلب تدخل جراحي، وبفضل الله ثم تقنية (النانو تكنولوجي)(١) هيرجع يقف على رجليه.

سأله الوالد:

- يعني (عمر) محتاج العملية دي وهيكون زي الأول؟

- دا في الغالب، قول يا رب، لإن نسبة نجاح العملية بالنسبة لحالته دي بتكون سبعين في المية.

هتفت (رنا) وهي تغمض عينيها في أسى:

- سبعين!.. يا حبيبي يا (عمر)!

سالت دموع من عيني (دينا) دون أن تنطق، بينما قال الوالد في حزم متشبثًا بالأمل:

- هنعملها ونتوكل على الله وهيقوم بالسلامة.. أنا ابني (عمر) هيقوم بالسلامة.

قال الطبيب مؤيدًا:

- عين العقل، نعمل اللي علينا والباقي على ربنا، ويا ريت في أسرع وقت تحجزله في المستشفى هنا لمعاد العملية، لإن

---

(١) النانو تكنولوجي: تقنية متطورة تقوم على التحكم بإعادة ترتيب الذرات والجزيئات، ومن ضمن استخداماتها الطبية التي توصل إليها العلماء كونها علاج فعال لإصابات الحبل الشوكي المعيقة لحركة الإنسان، فمن المعروف عدم مقدرة الخلايا العصبية على النمو مرة أخرى، بسبب أنسجة الجرح التي تنمو حول مكان الإصابة، ولكن المهندسون الطبيون نجحوا في تطوير تقنية جديدة للتغلب على هذه المشكلة، باستخدام هلام نانوي، والذي يمنع نمو أنسجة الجرح بمكان الإصابة، ويسمح بنمو الخلايا العصبية للحبل الشوكي، وبالتالي لا يحدث الشلل.

كل ما كان أسرع كل ما كان أحسن للحالة، وإن شاء الله هيقوم بالسلامة.

تساءل (آدم):

- والعملية دي تكلفتها كام؟!

أجاب الطبيب:

- تكلفة العملية دي بتكون تقريبًا خمسمية ألف جنيه، نص مليون يعني.

- آلو، أيوة يا (رنا) طمنيني يا حبيبتي.
- أطمنك على إيه بس يا (سعيد)؟ أنا أخويا حالته صعبة جدًّا، تخيل إنه مشلول ومحتاج عملية بنص مليون عشان يرجع يمشي تاني، ويا ريتها عملية مضمونة، الدكتور بيقول سبعين في المية بس!
- اهدي بس يا حبيبتي وما تعيطيش، أنتِ فين طيب دلوقتي؟
- أنا لسه واصلة البيت حالًا أنا واخواتي وبابا.
- طب انزلي تاني وتعاليلي الشقة، أنا مستنيكي.
- مش هقدر انزل يا (سعيد)، أنا محتاجة أنام أو...
- ما فيش الكلام دا، أنا مش هسيبك وأنتِ في الحالة دي.
- ماشي، أنا نازلة جيالك اهو.

بالطبع ستذهب إليه، ستبكي وتشتعل حزنًا وغضبًا بين أحضانه، دائمًا ماكان شعور الاحتياج هو ما يحركها، هو ما يحرك كل أنثى عمومًا، مهما اختلفن!!

في الوقت ذاته الذي أجابت فيه (دينا) بعد تردد طويل عن اتصال (أحمد) وقالت في حدة:

ـ عايز إيه؟!

صُدم (أحمد) من عنف أسلوبها، فقال في توتر:

ـ بتطمن عليكي، أنا عرفت من (رنا) اللي حصل ومش مصدق لحد دلوقتي!

ـ أنا كويسة!

لم يفهم (أحمد) السبب وراء هذا الأسلوب، وكيف له أن يفهم؟! كيف له أن يفهم الحيرة والتردد اللذين تشعر بهما؟!

إنها لم تعد تنام الليل من فرط التفكير، وتجد نفسها مقصرة في بعض العبادات، وبالمسافة التي أصبحت تفصلها عن خالقها.

ـ طب أنا كنت بتطمن بس، سلام.

كان على وشك أن ينهي المكالمة فدفعها هذا أن تقول في لهفة:

ـ (أحمد)!

ـ أيوة؟!

استغربت نفسها، أهي تريده أم لا؟!

ـ أنا آسفة، أنا بس مخنوقة ونفسيتي تعبانة من اللي حصل، اعذرني.

رد عليها ف تفهم كبير:

- طبعًا طبعًا فاهم يا (دينا)، خدي وقتك وخليكي دايمًا عارفة إني موجود، ويا ريت لو تقابليني، هكون سعيد جدًّا لو قدرت اساعدك واخفف الحمل اللي عليكي.
- صعب انزل من البيت؛ أنا تعبانة بجد ومحتاجة أنام.
- ولا يهمك، تصبحي على خير.
- وأنت من أهله.

❧

وفي غرفة الوالد استلقى الوالد على السرير حزينًا، وجلس (سامي) على طرف السرير بينما ظل (آدم) واقفًا، فنظر له الوالد قائلًا:

- اقفل باب الأوضة يا (آدم).

نفذ (آدم) ما أمره به والده، وعاد يقف بجانب السرير، ثم قال الوالد لهما في هدوء:

- عايزكم تتصلوا بعمكم اللي في البلد يشوف المشتري اللي كان عاوز يشتري أرضنا، ويخليه يجهز فلوسه بكرة الصبح، وعاوزكم تتفقوا مع عربية تيجي تاخدنا الصبح للبلد عشان نخلص عقد بيع الأرض.

غمغم (آدم):

- بس يا بابا المشتري دا كان عايز يدفع فيها تسعمية ألف بس واحنا محتاجين فيها أكتر من كدا.

قال (سامي) في عصبية دون أن ينظر لأخيه:

ـ ما فيش وقت أكيد نقعد نشوف المشتري المناسب!

قال الوالد في صرامة:

ـ هاخد التسعمية ألف وهستلف مية ألف جنيه من عمك لو قدر يسلفني، لو ما قدرش هشوف حد تاني، كدا هيبقى معايا مليون، في نفس اليوم بكرة هندفع للمستشفى نص مليون عشان تبدأ عملية (عمر) وهنطلع بعدها على صاحب العربية بتاعتك يا (سامي) ندفعله نص المليون التاني حق شيكات العربية اللي راحت.

تألقت عينا (سامي) في امتنان:

ـ شكرًا يا بابا.

قال (آدم) في توتر:

ـ طب وكدا يا بابا المية وخمسين ألف اللي اتفقنا عليهم هتجبهملي منين؟

لم يصدق (سامي) ما سمعه، بينما رفع الوالد نظره إلى (آدم) في غضب رهيب، وصاح به في حدة:

ـ أنت ليك عين تقولها؟! أنت دمرتنا كلنا، أخوك في المستشفى مشلول بسببك، وأخوك دا مُعرض للسجن برضه بسببك!

حاول (آدم) أن يقول مدافعًا عن نفسه:

ـ أيوة يا بابا بس دا علاقته إيه بفلوسي اللي اتفقت معاك عليها؟!

يهتف الوالد في عصبية شديدة:

ـ أنت ما بتفهمش؟! أنت كدا خدت مليون مش مية وخمسين ألف! النص مليون بتاع العربية والنص مليون بتاع العملية، مانت اللي اتسببت في دي وفي دي!

حاول (سامي) أن يهدئ من روع والده فقال:

ـ اهدا بس يا بابا أعصابك.

بينما ظل (آدم) واقفًا في توتر وارتباك، بل وخوف.

كان منظر (سلمى) لا يفارق خياله حتى في أحلك الأوقات، لم يأخذ سوى لحظات، لحظات تخيلها لغيره، لحظات تخيل فيها نهاية حبهما، لحظات تخيل أنها لم تعد موجودة.

فصاح في والده في غضب:

ـ لو كنت من الأول وافقت تديني المبلغ اللي قلتلك عليه كامل، ماكانش زماني نزلت اضطريت اشتغل على العربية، وما كنتش عملت الحادثة ولا كان زمان (عمر) في المستشفى ولا (سامي) عليه نص مليون، أنت اللي دمرتنا بأنانيتك وبخلك!

كان (سامي) مندهشًا حقًّا من منطق شقيقه وكان على وشك أن يرد عليه، خصوصًا بعد إهانته لوالدهم، إلا أن الوالد ازداد انفعالًا وصرخ بصوت مبحوح من شدة العصبية:

ـ اطلع برة، مش عايز اشوفك قدامي، اطلع برة البيت خالص، أنت لا ابني ولا اعرفك، أنت سامع؟ برة بيتي.

فتح (آدم) باب الغرفة في غضب وغادرها منصرفًا من الشقة بالكامل وأغلق خلفه بابها بقوة، ثم أخرج هاتفه المحمول وهو يهبط درجات السلم، وقد امتلأت عيناه بالدموع واتصل بـ(سلمى) التي حدثته عبر الهاتف:

ـ أيوة يا زفت مختفي فين؟!

أتاها صوت (آدم) باكيًا:

ـ أنا عملت حادثة يا (سلمى).

ـ أنت بتقول إيه؟ حادثة؟؟ (آدم) أنت فين؟ أنت كويس؟؟

اهتمامها وقلقها الذي ظهر في صوتها أسعده كثيرًا، حتى أنه تمنى لو يظل دومًا في مشكلة ليشعر باهتمامها طوال الوقت!

ـ ما تقلقيش أنا كويس، إيدي بس الي اتجبست.

ـ طب وناوي تعمل إيه؟ دا شغلانة «كريم» دي كانت أملك الأخير بعد ما اطردت من الشغل، هتشتغل ازاي وإيديك مجبسة؟!

ـ المشكلة مش في إيدي، أخويا (عمر) كان معايا في العربية ودلوقتي هو في المستشفى ومحتاج عملية بنص مليون عشان تعالجه من الشلل!

ـ معقولة! نص مليون؟!

ـ و(سامي) هيتحبس لو ما دفعش الشيكات اللي عليه بتمن العربية، نص مليون برضه.

ـ نعم؟

- اه والله، وابويا كدا مش هيديني ولا مليم، كدا فلوسنا كلها خلصت وهيستلف كمان مية ألف عشان العملية وعشان يقدر يسدد الشيكات.
- نعم؟؟

لم يدرِ ما يقول، بينما أضافت هي بعد برهة:

- على فكرة أنا رجعت لـ(حسام دياب) بعد ما سبتك الصبح وطلبت منه يسامحني وفهمته إني ما كانش ليا ذنب، والحمد لله رجعني الشغل تاني، تخيل؟!

لم يصدق (آدم) ما يسمعه، ما قالته الآن يفسر لماذا تتحدث من منطلق قوة!

يبدو أن كل ما خطط له لم يؤدِ سوى لزيادة الوضع سوءًا!

حاول (آدم) أن يثير تعاطفها مجددًا، فقال في أسى وخضوع:

- حبيبتي أنا في وقت صعب أوي دلوقتي، محتاجك جمبي أكتر من أي وقت فات، أنا أبويا حتى طردني من البيت، واخواتي مش قادرين يبصوا في وشي، أنا محتاج اقابلك دلوقتي.
- أنت مجنون يا (آدم)؟! أنت عارف يعني إيه مش هتاخد ولا مليم من أبوك؟! يعني أنا وأنت خلاص بح علاقتنا مش هتنفع، محتاج تقابلني تعمل بيا إيه بقى؟! هتعيطلي زي المرة الي فاتت برضه؟؟

كان هو في تلك اللحظة يسير في الشوارع مصدومًا مما يسمعه فهتف:

- وأنا كان ذنبي إيه يا (سلمى)؟! دا قضاء وقدر.
- يبقى قدرك ما تتجوزنيش يا (آدم)، احنا مش لبعض، وبجد أنت حقيقي صعبان عليا! أنا مش بتريق أنا بكلمك بجد، وإن شاء الله من قلبي أتمنالك إن أخوك يقوم بالسلامة وحياتك تبدأ تتظبط وتبدأ تحوش من شغلك وتكبر فيه وتحقق ذاتك وتشوف بنت تتجوزها، بس أنا ما ينفعش ابقى البنت دي لأني مش هستناك كل دا يا (آدم).

كانت يده تعصر الهاتف المحمول دون أن يشعر من فرط غضبه الممزوج بالقهر، وهو يسمع صوت معشوقته تكمل في قسوة باردة:

- صدقني كان نفسي علاقتنا تنجح، بس للأسف بقى مش كل حاجة بنعوزها بنوصلها في الدينا دي يا (آدم)، باي يا (آدم)، ويا ريت تنساني خالص وما تحاولش تكلمني تاني.

مرت عليه ثوانٍ ولسانه عاجز عن التحدث، ولكنه أجبر لسانه على الحركة ليقول في توسل:

- أنتِ بتقولي إيه يا (سـ..

بتر عبارته عندما وجدها أنهت المكالمة بالفعل، فتوقف فجأة عن السير، وشعر أن قدميه غير قادرتين على حمله، فوقع على ركبتيه أرضًا في مكانه وهو في حالة يرثى لها، ولم يهتم بأنظار من حوله وأخذ يضرب الأرض بيده السليمة بكل ما أوتي من قوة فسالت دمًا، ولكن الألم الحقيقي كان ما يشعر به داخله، فتأوه بصوت مرتفع وهو ينظر للسماء

ويصرخ كالطفل في الشارع لافتًا أنظار جميع المارة، ذارفًا دموعًا ساخنة تعلن عن مأساة شخص انتهت حياته تمامًا.

فلم تكن (سلمى) مجرد فتاة أحبها، أو أنثى قابلة للنسيان، بل كانت له كل شيء!

توغلت بداخله واستوطنت قلبه وأعلنت سريانها في دمائه، خطفته، ملكته، في نظره هي الأنثى الكاملة التي يبحث عنها أى رجل، فهي قادرة على خطفك بكلمة، بموقف، بنظرة، بضحكة، بلمسة رقيقة..

اااه يا جميلتي، إنك اللعنة بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

هو الآن يتذكر كل شيء...

هو الآن يسترجع ذكرياته معها، بالنسبة له فتلك هي لحظات احتضاره، ومنذ تلك اللحظة أصبح في عداد الموتى.

ذهبت (سلمى) وذهب معها كل سبب يعيش لأجله.

اليوم المظلم

صباح اليوم المظلم..

مع الخيوط الأولى لأشعة الشمس، انطلقت العربة (البيجو)، وبجوار السائق جلس (سامي) ووالده، ولم يدر بينهما أي حوار لمدة ساعتين تقريبًا حتى وصلا أخيرًا إلى قريتهم التي لم يذهب لها (سامي) إلا مرات معدودة في طفولته، فقد غادرها والدهم في شبابه وانتهت علاقته تقريبًا بها.

كان في انتظارهما عمهما الذي رحب بهما في حرارة وحزن في نفس الوقت، ولم تمر ساعة أخرى حتى كانوا في منزل العم يتحدثون عن الوضع المحزن في انتظار المشتري.

استغل (سامي) هذه الدقائق ليبتعد قليلًا عنهما ليتحدث في خصوصية مع (ملك) عبر الهاتف:

- إزيك يا حبيبتي؟

أتاه صوتها ملهوفًا:

ــ طمني يا (سامي)، أنت كويس ؟

ــ أنا كويس يا حبيبتي.

وفجأة وجد نفسه يبكي وهو يكمل:

ــ (عمر) اللي في المستشفى بيموت يا (ملك)، بيموت.

ــ يا حبيبي ما تقلش كدا، خلي إيمانك قوي في ربنا، أنا متأكدة إنه هيقوم والله.

ــ احنا بنضيع يا (ملك)، عيلتي بتضيع، أنتِ ما شفتيش أبويا وهو بيطرد (آدم)، أنا خايف عليهم كلهم، احنا بنضيع، احنا مش هنرجع زي الأول تاني خلاص!

رغمًا عنها ظهر بكاؤها في صوتها وهي تحاول طمأنته:

ــ يا حبيبي والله كل حاجة هتبقى زي الفل، أنا واثقة في ربنا.

يمسح (سامي) دموعه:

ــ ربنا يخليكي ليا يا (ملك).

أتاه صوت عمه ينادي:

ــ تعالى يا (سامي) المشتري جه.

قال لها مسرعًا:

ــ باي يا حبيبتي، هرجع اتصل بيكي تاني.

ــ لا إله إلا الله.

ــ محمد رسول الله.

أنهى المكالمة وعاد لوالده وعمه في وجود هذا المشتري ليمضوا العقد.

كان الوالد في عجلة من أمره حقًّا، ولم يجادل المشتري كثيرًا، وتم الأمر سريعًا، وكان المشتري حاضرًا بالمبلغ كامل، تسعمائة ألف في حقيبة كبيرة، حملها (سامي) وعاد مع والده إلى موقف الركوب رافضين أي عرض من عمهما للغذاء، ولكنه أصر أن يمنحهم توصيلة بسيارته إلى القاهرة، حرصًا على الحقيبة.

بعد الظهر بقليل كان قد عاد الوالد و(سامي) إلى المنزل، ونظر (سامي) لوالده وتساءل:

ــ كلمت المستشفى؟

ــ بلغتهم إن الفلوس جاهزة وقالولي نروح ندفعها بكرة الصبح والعملية هتكون خلال يومين.

ــ طب الحمد لله.

ــ وبالنسبة ليك يا (سامي) ما تقلقش، الراجل اللي كنت مأجر منه العربية لما تدفعله ربعمية ألف أكيد هيصبر على المية الباقية لحد لما نشوف هنستلفها منين.

ــ ما تشغلش بالك يا بابا، ادخل نام وريح أنت، وإن شاء الله هنرتاح من الكابوس دا، و(عمر) هيقوملنا بالسلامة، هنبقى صحيح أفلسنا بس الحمد لله!

ــ تولع الفلوس، سلامتك أنت واخواتك بالدينا.

ــ لو كدا يا بابا يبقى عاوزك تسامح (آدم).

تنهد الوالد وقال قبل أن يدخل غرفته:

ــ لما بس (عمر) يقوملنا بالسلامة وندفع لصاحب العربية فلوسه كاملة ساعتها بس هقدر أسامح.

ودخل (حسن غنيم) غرفته ممسكًا بالحقيبة، بينما ظل (سامي) في ردهة المنزل يفكر في كل ما حدث!!

لو أخبرتك منذ بضعة أيام أن هذه الأسرة ستكون أقصى أمانيها أن تعلن إفلاسها فقط لاتهمتني فورًا بالجنون، ولكن هذه هي الحياة يا عزيزي، فالسعادة هي أكثر الأشياء نسبية في هذا العالم.

فربما حالك اليوم هو كل ما ستتمناه غدًا لتكون سعيدًا، على الرغم من أنك اليوم لست سعيدًا بالشكل الكافي!

فلا أحد منا يستيقظ سعيدًا بوجود أبيه في المنزل، أو زوجته بجواره، أو ابنه يلهو فيوقظه، على الرغم من أنه عند فقدانهم، ستصبح تلك هي السعادة كلها من وجهة نظرك، ستأمل يومًا أو بعض يوم تراهم فيه بجوارك!

لا أحد منا يستيقظ سعيدًا فقط لأنه ينهض من سريره في نشاط وقوة فيتناول فطوره في عجالة ويذهب لعمله سيرًا على الأقدام، على الرغم من أن هذه الصحة إذا فقدتها ستكون كل ما تتمنى.

تظل طوال عمرك تحارب، في حين أن لحظة مرض أو لحظة فقد عزيز كفيلة بأن تُشعرك أن كل هذا ليس له معنى، آه لو أنك استطعت عقد اتفاق بزوال كل نعم الحياة مقابل وجود أسرتك وأحبائك بجوارك!!

لا أريد إحباطك ولكنك لن تستطيع!!

فنحن نتحدث عن الجنة التي نتمناها جميعًا، والجنة لا توجد على الأرض..

نعم، مائة وخمسون ألفًا قد يكون مبلغًا كبيرًا بالنسبة لك لأن تعطيه لابنك دفعة واحدة، ولكن مليون جنيه لا تساوي شيئًا مقابل تواجده أمامك في كنفك وفي رعايتك.. مقابل عدم فقده أو رؤيته عاجزًا.

القدر يسخر منا بطريقته الخاصة، والدنيا تتلاعب بنا كما تشاء!

هكذا كان حال أسرة (حسن غنيم).

مساء اليوم المظلم..

أراحت (رنا) رأسها على صدر (سعيد) الذي ضمها في قوة ليمدها بأكبر قدر من الحنان والطمأنينة، وأخذت هي تحكي عن حال شقيقها (عمر) وعن شيكات (سامي)، وبعد كثير من الانفعالات والدموع استطاع (سعيد) أن يحسن من حالتها، وجذب الغطاء عليهما، وظل نائمًا يحتضنها في سكون، حتى قالت:

ــ اقلع التيشرت يا (سعيد)؛ عايزة انام على صدرك.

قام (سعيد) فورًا بخلع التيشرت وقامت هي بالمثل، ثم عادت تريح رأسها على صدره العاري واحتضنها بقوة، وعاد يجذب الغطاء عليهما، فتقول هي مستمتعة بالتلامس الذي بينهما:

ــ أيوة كدا بكون مبسوطة لما أحس إن ما فيش حاجة بينا.

أخذ يتحسس كتفها في حنان، ومرت دقائق حتى وجدها تقول:

ـ كان في حاجة مهمة عايزة أقولك عليها.

ـ خير يا حبيبتي ؟!

أجابته في تردد:

ـ أنا حامل.

انتفض (سعيد) مفزوعًا وأزاح الغطاء في حدة، ورفعت رأسها إليه حتى ينظر لها جيدًا، وهتف مستنكرًا:

ـ نعم ؟!

اندهشت هي من رد فعله فقالت في ريبة:

ـ مالك في إيه ؟! إيه الغريب ؟!

ـ إننا المفروض واخدين بالنا كويس.

أصدرت ضحكة قصيرة في تهكم:

ـ مش علطول بنبقى واخدين بالنا يا (سعيد)!

ـ طب أنتِ عرفتي منين إنك حامل ؟!

نهضت ترتدي ملابسها التي خلعتها منذ قليل وهي تجيب:

ـ (البريود) اتأخرت جدًّا المرة دي، وما كانش في تفسير تاني!.. رحت عملت تحليل واتأكدت، أنا حامل في الشهر التاني!

توتر (سعيد)، وتلعثم وهو يقول:

ـ يبقى تسقطيه، آه ماهو ما فيش حل تاني.

اتسعت عيناها غير مصدقة وارتفع صوتها:

ـ أسقطه ليه إن شاء الله ؟! دا غير إن وارد يبقى في خطر عليا لو

حاولت اسقطه.

ــ لازم تسقطيه وإلا هيتولد ميلاقيش أسرة؛ ما احنا مش هينفع نتجوز يا (رنا)!

ــ وإيه اللي ما نفعهوش؟! متتجدعن بقى وواجه مامتك، ابنك دلوقتي في بطني، محتاجين سبب إيه أقوى من كدا عشان نواجه الناس بقى؟

ــ نواجه الناس؟! يعني أنتِ مستعدة تقولي لاخواتك وابوكي إننا كنا بننام مع بعض بقالنا سنتين؟!

ــ لأ طبعًا.. بس أنت هتتقدملي وأنا هوافق، ونتجوز الشهر الجاي علطول، وهنقولهم إني حملت، وأخلف في الشهر التاسع على أساس إنه الشهر السابع.

ــ ياه!.. دا أنتِ مظبطة كل حاجة بقى.

ــ إيه يا (سعيد) بتتكلم كدا ليه؟!

ــ أنتِ مش سامعة نفسك؟!، كلامك أهبل وساذج! وبعدين إزاي بتطلبي مني أواجه أمي؟! انسي إنها ممكن توافق مهما حصل.

صرخت هي وقد تملكها الغضب:

ــ هو يعني لازم موافقة أمك على الجوازة؟! هو أنت ما بتبقاش راجل إلا على السرير وبس؟

استفزه ما سمع إلى أقصى درجة، لدرجة أنه اقترب منها فجأة ورفع سبابته مهددًا إياها، ومنع نفسه بصعوبة من ضربها قائلًا في بطء مخيف:

ــ خلي بالك من كلامك يا (رنا)، المشكلة مش موافقتها وبس،

المشكلة هصرف عليكي منين أصلًا؟ أنتِ ناسية إني شغال في شركتها؟! يعني لو هي طردتني مش هيبقى لينا مصدر دخل، إيه هتصرفي علينا بمرتب الكورسات اللي بتديها؟!

أغمضت عينيها لتهدأ قليلًا مقنعة نفسها أن تتحدث بهدوء كمحاولة أخيرة معه:

ــ أيوة وفيها إيه يعني يا (سعيد)؟ هصرف علينا من مرتب الكورسات اللي بديها وهنحاول نخلي المرتب يقضينا، ونستحمل شهر أو شهرين لحد ما تلاقي أنت شغل، وهتبقى إيدينا في إيد بعض يا حبيبي وهخلف ابننا ونصرف عليه ونكبره و...

قاطعها في عصبية:

ــ أنتِ بتوهمي نفسك يا (رنا)، ما فيش الكلام دا، الواد دا لا هنعرف نصرف عليه ونعيشه ولا هيخلينا نعيش حياتنا، الواد دا لازم ينزل.

صمتت (رنا) وهي تنظر له في عمق، وأدركت أنه لا داعي لمواصلة الحديث؛ فمن الواضح أنه قد حسم موقفه بالفعل، فقالت بلهجة حادة:

ــ وأنا مش هنزله يا (سعيد)، إنشالله أربيه لوحدي، واقولك حاجة؟ روح اتجوز أمك يا بتاع أمك!

قالتها ناهية الحوار وارتدت الجاكيت الخاص بها وجذبت حقيبتها، وانصرفت بسرعة من المنزل تاركة (سعيد) مشتعلًا يضرب الحائط في غضب، وبمجرد أن خرجت هي من المنزل حتى سارت باكية في الشارع، وتعرضت لبعض المعاكسات من بعض الشباب «هو سابك ولا إيه؟»، «طب ما انا أحسن منه والله»، «ما تيجي ياقطة» ولكنها لم تبالي وسارت

في طريقها هائمة حزينة مصدومة.

لم يكن (سعيد) الرجل الذي رسمته في خيالها، لكن كيف؟

كيف له أن يخذلها بحق السماء؟!! لقد سلمته كل شيء بإرادتها، مشاعرها وجسدها وإخلاصها، وهو الآن يسلبها أبسط حقوقها، أن يعلن تمسكه بها!!

يا إلهي! إنها تحمل نبتته بداخلها، ألا يكفيه ذلك ليحارب من أجلها؟!

لن تعود له مجددًا حتى لو كلفها الأمر حياتها.. ما سمعته منه اليوم كفيل بأن يمحيه تمامًا من وجدانها.. لقد تحول الأمر من مجرد اختيار سيئ أو قصة حب فاشلة إلى مسؤولية واضحة، فهي تحمل داخلها جنينًا في أسابيعه الأولى!

هل تصارح والدها بالأمر؟!، كيف سيتقبله؟!

أتهرب بعيدًا وتنجبه وتعيش أمًا عزباء؟! هذا احتمال غير واقعي؛ فهي ستحتاج سندًا بالتأكيد وستحتاج لمال أيضًا.

المال؟! ومن أين يأتي المال وأسرتها ستصبح مديونة قريبًا؟ ومرتبها سيختفي بالطبع بمجرد اعتذارها عن العمل بسبب حملها.

شعرت بخوف حقيقي من المستقبل القريب الذي ينتظرها، ولكنها أخذت قرارًا مهمًّا!

إنها لن تتخلى عن ابنها، وستكفل له حياة يستحقها مهما كلفها ذلك ومهما تنازلت..

أصبح وجهها غارقًا في الدموع، وشعرت أنها تحتاج لصديق قريب أو لأخ حنون.. نعم إنه (عمر)!. ولكن (عمر) المسكين غير موجود!

ربما (سامي)؟! إنه معرض لحبس وشيك، التوقيت ليس جيدًا أبدًا!

و(آدم) ليس اختيارًا بكل تأكيد..

(دينا) لا تصلح أيضًا..

إذاً فلتواجه أباها وليحدث ما يحدث، فقريبًا سيعرف الجميع بمجرد النظر لبطنها!

وجدت نفسها قد وصلت إلى منزلها، لقد سارت ساعات دون أن تشعر وهي غارقة في أفكارها!

اقترب التوقيت من الغروب وهي تصعد سلالم منزلها، وقد حسمت أمرها بإخبار والدها، فتحت باب الشقة فوجدت أمامها (سامي) و(دينا) يجلسان في صمت، فنظرت لهما:

ـ (آدم) هنا؟!

أجابها (سامي):

ـ من ساعة ما مشي امبارح بعد ما اتشاكل مع بابا وما فيش عنه خبر.

ربما هذا ما كانت تريد أن تسمعه، فعدم وجوده يريحها نوعًا ما في هذا التوقيت، فقالت:

ـ أنا عايزة بابا.

أجابتها (دينا):

ـ هو دخل نام بقاله كذا ساعة كدا، سيبيه يريح أحسن يا (رنا).

على عكس ما توقعته (دينا) و(سامي) ردت (رنا):

ـ لا أنا محتاجة أقوله حاجة ضروري.

عقد (سامي) حاجبيه، وهو يتأمل وجهها وهتف:

ـ أنتِ معيطة ؟!

أجابته وهي تتجه لغرفة والدها:

ـ بيتهيألي في الظروف اللي احنا فيها دي المفروض ما يبقاش في استغراب إني معيطة!

وفتحت باب غرفة والدها وأغلقته خلفها، ونظرت لوالدها النائم في عمق.. نظرت له في حب واحتياج حقيقي، وكذلك بخوف وقلق من ردة فعله!

اقتربت منه في بطء، وجلست على طرف سريره، ومدت يدها لتوقظه في تردد، لتجد جسده باردًا لأقصى درجة، فقالت:

ـ الدنيا سقعة أوي، شكلك بردان يا حبيبي!

ثم استطردت في ألم كاتمة دموعها:

ـ بابا، أنا محتاجة أقولك حاجة مهمة أوي.

ولكنه لم يستيقظ، فعادت تهزه بشكل أقوى، ولكنه لم يشعر بها، بل إنه لم يحرك ساكنًا، فانتفضت فجأة في رعب وأخذت تهزه بقوة شديدة، وتصرخ:

ـ بابا! باااباا، باااابااا.

اندفع (سامي) و(دينا) لداخل الغرفة في تلك اللحظة، وتسمرا في مكانهما واقفين يشاهدان (رنا) تمسك والدهم من ملابسه وتصرخ، وأدركوا جميعًا ماهية الأمر.. لقد مات والدهم!.. لقد أسلمت روحه إلى

بارئها، ليتلقى مصيره المحتوم، تاركًا أولاده لمصائرهم المجهولة.. (سامي) لا يرمش واتسعت عيناه في ذهول وصدمة، وذرفت دموعًا حارة.. ودفنت (دينا) وجهها في يديها وألقت نفسها أرضًا دون أن تبكي، بينما ظلت (رنا) تصرخ.

كلمة «بابا» بصوت (رنا) القوي الباكي المقهور دوت بكل شبر في المنزل، بل ربما في الشارع كاملًا.

تلقائيًا أخرج (سامي) هاتفه ليتصل بأخيه، إنه يحتاج لأخيه الكبير الآن!

ارتعش جسده وهو يتصل بـ(آدم) وصراخ (رنا) لم يتوقف، ولكن (آدم) لا يجيب، أين آدم الآن ؟! لا أحد يعرف.

صراخ (رنا) توقف.. لقد فقدت وعيها ليصبح جسدها فوق جسد أبيها، ولكن (سامي) لم يقترب، و(دينا) ما زالت كما هي.

دوى صوت جرس المنزل، فأخرج (سامي) عن جموده، مهما كان من يضرب الجرس فمن الجيد وجوده لينقذ هذا الموقف.. تلقائيًا فتح (سامي) باب المنزل، فوجد بعضًا من الجيران يدخلون، بعضهم يبكي، بعضهم يتمتم بعبارات دينية، بعضهم يواسيه، إلا أن ما يهم أنهم اتجهوا وسيطروا على الموقف.. فأخرجوا (دينا) و(رنا) من الغرفة، وأعادوا لـ(رنا) وعيها، فاستيقظت لتحتضنها (دينا) وظلتا صامتتين، بينما اقترب أحد الرجال من (سامي) وقال:

ــ هنغسل المرحوم يا أستاذ (سامي) وزمان عربية الإسعاف جاية عشان ناخده على الترب وهنصلى عليه العشا إن شاء الله، ما تشيلش هم

أي تكاليف دلوقتي ولا أي ترتيبات، أنا ظبطت كل حاجة.

لم يكن (سامي) ينظر له، ولا يبدو عليه أنه أدرك ما قاله، ولكنه هز رأسه موافقًا، ما زال لم يستوعب رحيل والده، كيف تنقلب حياة إنسان هكذا في أقل من أربعة وعشرين ساعة؟! لقد كانت حياته مثالية منذ يومين ولم يكن حتى يعرف!

لم يصبح كل شيء على مايرام كما أخبرتيني يا (ملك).. لقد رحل أبي!.. أيوجد ما هو أسوأ من ذلك؟ الدنيا تفرض سنتها علينا!

كان نفسي بابا يشوفك، كان نفسي يجي معايا وأنا بطلب إيدك! كان نفسي يباركلنا، كان نفسي يشيل عيالنا.

بعد مرور ساعة أتت عربة الإسعاف، ودخل بعض الجيران يحملون الجثة من الغرفة للخارج، وكان المشهد مؤلمًا حقًّا عندما مروا أمام (رنا) و(دينا)، فظلتا تصرخان في حرقة، إلا أن بعض النساء كانوا موجودين يمسكونهم حتى لا يندفعوا ناحية الرجال وهم يحملون الجثة.

بكى (سامي) بصوت مرتفع، ولكنه أدرك أنه عليه الآن أن يكون معهم حاملًا جثة والده، فاندفع وسطهم وأفسحوا له مكانًا ليكون في المقدمة حاملًا أباه.

بكى (سامى) بصوت مرتفع، ولكنه أدرك أنه عليه الآن أن يكون معهم حاملاً جثة والده، فاندفع وسطهم وأفسحوا له مكاناً ليكون فى المقدمة حاملاً أبيه..

بعد نصف ساعة وصلوا إلى المقابر يدفنون الجثة وانهار (سامى) تماماً عند باب القبر، وكان الجو مظلماً مما ساعد ألا يرى أحداً مظهره المثير للشفقة.. أبيه سيدخل هذا الباب ولن يخرج مجدداً.. لن يخاطبه ثانية.. لن يسهر قلقاً ليطمئن عليه أو على اخوته.. لا مزيداً من حنانه وحبه واهتمامه.. لا مزيداً من أبيه.. أصبح بلا أب الآن.. بلا أمان وبلا ظهر وبلا نصيحة وبلا نظرة قلق عليه.. وبلا نظرة ثقة يتمناها.. وبلا نظرة فخر تسعده..

بلا أب..

مساء اليوم المظلـم..

(آدم) مستلقٍ أرضًا نائمًا وهيئته مزرية تمامًا في تلك الحديقة العامة، حتى صدمته كرة يلعب بها طفل فاستيقظ ينظر حوله.. يده المجبسة تؤلمه للغاية، يشعر على خده بعلامات النوم أرضًا، وقميصه معظم أزراره أصبحت مفكوكة، فحاول أن يضبط نوعًا ما مظهره بيده السليمة، ونهض ليغادر تلك الحديقة.

لم يشعر حتى بالطفل الذي اعتذر له عن الكرة، ولم يشعر ببرودة الجو، فهو في الواقع لا يشعر بأي شيء من حوله، وصامتًا ينظر أمامه، تحرك (آدم) يسير في الشوارع، ودون أن يأخذ القرار كان يتجه ناحية منزله.

بمجرد أن وصل إلى شارعه، وجد بعض الرجال يحملون كراسي استعدادًا لجنازة ستقام في الشارع، ولكنه لم يبالِ حتى اقترب منه رجل

فورًا عندما رآه:

ـ أستاذ (آدم).

نظر له (آدم) بنظرة خاوية، وأكمل الرجل:

ـ البقية في حياتك يا أستاذ (آدم).

أخرجته العبارة من شروده، ونظر لعيني الرجل بنظرة استفهامية أدركها الرجل فورًا، فقال ليوضح، متلعثمًا:

ـ الحاج الوالد يا أستاذ (آدم) تعيش أنت، الكل دلوقتي في الترب، يا دوب تلحق الدفنة يا أسـ..

ولكن (آدم) لم يتركه يكمل، بل جرى نحو منزله، ليصعد السلالم في لحظات، وصاح الرجل مناديًا:

ـ ما فيش حد فوق في الشقة يا أستاذ (آدم)، بقولك كلهم في الترب!

ولكن (آدم) لم يستوعب الأمر، وبفطرته دخل شقته ليبحث عن أبيه، لا يمكن أن يكون هذا الرجل المعتوه يقول الحقيقة!

ولكن بمجرد دخوله المنزل أدرك (آدم) الحقيقة، لقد مات أبوه!

دخل (آدم) غرفة أبيه ويضيؤها، وبمجرد رؤيته للسرير تذكر أباه آخر مرة، وكيف كان الوضع بينهما، فانهمر (آدم) في البكاء مصدرًا صوتًا عاليًا كالطفل، وألقى نفسه على السرير يبكي ويتأوه.

آآآآه، أنت فين يا باباااا؟ اااااه.

الدموع غزيرة حقًّا، عقله يذوب ويخرج من عينيه دموعًا!!

حياته انتهت أمس، واليوم والده يموت!! ماذا يحدث؟!

ظل على هذا الحال لدقائق، حتى هدأ واستكان وهو نائم على السرير، متكور على نفسه، شاعر بالضعف، وبأنه طفل صغير.

عيناه تحوم في الغرفة ويتذكر الكثير من الذكريات، فنظر لمكتب أبيه وتذكر عندما كان صغيرًا وحمله والده وأجلسه فوق المكتب ليتحدثا معًا.. حينها سأله وهو لم يكمل السادسة بعد:

ــ هو أنت سمتني (آدم) ليه يا بابا؟

ــ عشان (آدم) دا يا حبيبي أبو البشر، أبونا كلنا، أول إنسان جه هنا الدنيا كان اسمه (آدم) على اسمك.

ــ أول واحد خالص؟ وكان عايش لوحده؟

ــ لا ربنا زي ماخلقه كدا خلقله (حواء)، حبها وعاش معاها، وملت عليه الأرض كلها.

ظل شاردًا يتذكر العديد من المواقف الجميلة، وفجأة وقع نظره على حقيبة كبيرة موضوعة في ركن الغرفة، فشرع في التفكير، ماذا تكون هذه الحقيبة؟!

وأدرك عقله الأمر فورًا.. ما بداخل تلك الحقيبة هو ثمن الأرض بالتأكيد.

أمامه الآن في هذه الحقيبة ما يجعله قادرًا على استعادة (سلمى).. (سلمى) التي يحتاجها الآن كما لم يحتاجها من قبل، هذا ما يجب عليه فعله.. إنها (حواء) الخاصة به!

نهض (آدم) مسرعًا، وفتح الحقيبة ليجدها مليئة بالمال، تألقت عيناه وهو يتخيل نفسه مع (سلمى) متخطيًا كل هذه الجروح..

ربما هناك أمل له في استعادة روحه!

بيده السليمة حمل الحقيبة تحت إبطه، واقترب من باب المنزل فاضطر أن يضعها أرضًا ليتمكن من فتح الباب، ثم عاد يحملها وخرج من المنزل وأغلق الباب خلفه بقدمه، ومسرعًا هبط السلالم، وتجاهل كل من حاول إيقافه في الشارع لتعزيته، وكان المطر ينهمر فوق رؤوس الجميع بغزارة، وأصبح الشارع مظلمًا، فأوقف تاكسي وتلقائيًّا وجد نفسه يخبره بعنوان (سلمى)، وبعد دقائق هبط من التاكسي أمام شارع (سلمى)؛ فمن العسير على التاكسي الدخول في هذا الشارع الضيق.. فأسرع بدخول الشارع على قدميه.

الزمان: السابعة مساءً، اليوم المظلم، السادس من ديسمبر عام 2023.

المشهد: برد قارص وظلام دامس، ومطر غزير مستمر.

المكان: شارع جانبي ضيق.. شارع محبوبته.

المظهر: مزرٍ إلى أقصى درجة، يده اليمنى مجبسة، وملابسه مبتلة بمياة المطر، وبيده الأخرى يحمل حقيبة يضعها فوق رأسه لتعمل كبديل لمظلة المطر.

الحال: يجري في الشارع في لهفة وذعر.

الهدف: الوصول إلى منزلها.

فلا بد أن يصل لها الآن، ليرى في عينيها قبل أن يسمع منها، أنها لن تتخلى عنه، يتمنى أن تخبره بكل جوارحها أنها لن تتركه وحيدًا أبد الدهر، وستظل بجواره حتى آخر العمر.

مستحيل أن تهجره بعدما تعرف ما اقترفه لأجلها.

منزل حبيبته على بعد أربعة منازل فقط..

ولكنه تعثر، فوقع واصطدم وجهه بالأرض المبتلة لتتسخ وجنتاه بالطين، وآلمته يده المجبسة بشدة، وارتعد جسده من فرط البرودة، وبجواره أرضًا استقرت الحقيبة، ويمكنكم تخيل كم تثير ملابسه الشفقة الآن!

ما زال أرضًا لم يحاول النهوض، ولا يبدو عليه حتى الشعور بالغضب أو الإهانة، كل ما يشعر به هو الخوف مما ارتكب، والذعر أن يكون ما ارتكبه لأجلها قد ضاع سدى.

مشاعره متبلدة، وقلبه محطم، ومعنوياته لا وجود لها، إنه ميت من

الداخل، ووصوله لمبتغاه الآن هو الأمر الوحيد القادر على جلبه للحياة مجددًا، نعم، سيثبت لها أنه يستحقها، وسيرى هذا فورًا في ملامحها بمجرد رؤيتها لما داخل الحقيبة، لن تتركه مجددًا!

يعلم جيدًا أن فعلته هذه ضد مبادئه، ومهينة لكرامته، ولكن هذا لا يهم الآن، فهو على أتم الاستعداد للتضحية بكل شيء، حتى احترامه لذاته، مقابل أن يبقي عليها في حياته، حتى إن لم يظهر ذلك فهو يعلمه في قرارة نفسه.

أغلب الرجال يعلمون ذلك!!!

حاله الآن يدعو للسخرية، فقد تعثر أمام منزل صديقه، صديقه (حازم) الذي لم يعد يعيش هنا من الأساس، فصديقه (حازم) هو جار لمحبوبته وعشقه الوحيد.

هكذا قابلها من الأساس منذ عشر سنوات، عشر سنوات قبل هذا اليوم المظلم، عندما كان شابًّا صغيرًا على وشك الالتحاق بالكلية.

لماذا انخرط في هذه الذكريات القديمة الآن ؟!

فإن وضعه وهو ملقى أرضًا أسفل المطر في شارع محبوبته المظلم المتسخ، ليس وضعًا مناسبًا نهائيًّا، يجب أن ينهض مجددًا؛ ليصل إلى منزلها، حتى يتمكن من العودة سريعًا، فالوقت ليس في صالحه.

نهض (آدم) بصعوبة ليتزن واقفًا، واقترب من الحقيبة الملقاة أرضًا وأمسكها بيده السليمة، ثم سار هذه الخطوات القليلة إلى المنزل، وصعد درجات السلم حتى وصل أخيرًا أمام باب الشقة المنشودة، وضع الحقيبة جانبه حتى يتمكن من دق الباب.

دق الباب دقات عديدة متتالية قوية، فتفتح له محبوبته التي شهقت من هول هيئته وظهر عليها الذهول وهو يقول في توسل:

ــ الحقيني يا (سلمى).

ظلت (سلمى) جامدة من شدة ذهولها، فصاح بها:

ــ دخلي الشنطة دي جوا يا (سلمى) بسرعة.

كانت ستعترض، وتصيح به لتهينه، وتستنكر قدومه المفاجئ، ولكن مظهره وأسلوبه في الحديث أجبرها أن تطيعه، فقد شعرت أن الأمر جلل حقًّا.

أدخلت (سلمى) الشنطة، ودخل هو قائلًا:

ــ حد هنا غير مامتك ؟

ــ لا ماما بس، ما أنت عارف ما حدش بيزورنا.

تخلى عن جموده، وترك الحزن والضعف يسيطران على صوته:

ــ أبويا مات يا (سلمى)!

شهقت (سلمى) مصدومة، ومدت يدها تربت عليه:

ــ البقية في حياتك يا (آدم).

ثم رفعت يدها عنه، قائلة بأسلوب حاولت أن تجعله يجمع بين الجمود والحنان:

ــ بس ما كانش المفروض تيجي على هنا يا (آدم) وانت عارف إن اللي بيننا انتهى!

أغمض هو عينيه محاولًا أن يتجاهل ويتناسى عبارتها، وضرب بقدمه

الحقيبة قائلًا:

ــ افتحي الشنطة يا (سلمى).

فتحتها (سلمى) مسرعة، وشهقت مجددًا عندما رأت ما بداخلها، وعادت تنظر له غير مصدقة، فقال لها:

ــ محتاجك دلوقتي تفكري هنعمل إيه بالبلوة دي؛ لإني مش قادر أفكر، مخي مشلول!

ما زالت (سلمى) لم تفهم الوضع جيدًا، ولكنها حاولت أن تستنتج:

ــ دي فلوس الأرض كلها صح؟! هي جاتلك إزاي؟!

ولكنها أدركت مدى سذاجة أسئلتها، فأضافت:

ــ هو حد يعرف إن الفلوس دي معاك؟

كان (آدم) يرتجف في خوف وضعف، وعيناه ما زالتا تذرفان الدموع، وهز رأسه نفيًا، فتألقت عيناها هي وقالت:

ــ حلو أوي، يبقى دلوقتي يا حبيبي أنت لازم تنزل تروح عزا أبوك، كلم أخوك (سامي) وروحله وخليك جمب اخواتك لحد لما الوضع يهدا خالص؛ لإن ما ينفعش تكون مختفي في الوقت دا.

ينصت لها (آدم) جيدًا، ولكنه لم يتحرك، فأمسكته (سلمى) ودفعته ناحية الباب قائلة:

ــ لأ رك

ــ ز كدا وانشف وشد حيلك، دلوقتي ما تفكرش غير في ابوك الله يرحمه، روح لاخواتك ساندهم وحاول تعدي المأساة دي، وما تفكرش في

الفلوس نهائي ولا كأن حاجة حصلت، وأنا هخبيها كويس وهجيب أمي كمان شوية وهنيجي العزا!

أومأ لها موافقًا:

ــ حاضر حاضر.

فتحت هي له باب المنزل حتى يغادر، ولكنه توقف فجأة والتفت لها في توسل والدموع تنساب علي وجنتيه بغزارة، وقال بطريقة طفولية شعرت من خلالها كما لو أنه أصبح مختلًّا عقليًّا:

ــ بس دا معناه دلوقتي إنك رجعتيلي، أنتِ رجعتيلي، صح؟

نظرت له في شفقة، وقالت في لهجة جعلت الحنان يملؤها:

ــ طبعًا يا حبيبي، ومش هسيبك تاني أبدًا!

اليوم المظلم الساعة التاسعة مساءً..

عبر مكبرات الصوت انتشر صوت مقرئ القرآن في الصوان المُقام أمام المنزل المزدحم بالرجال، وفي مدخله وقف (آدم) جنبًا إلى جنب (سامي) وبجوارهما وقف عمهما، استعدادًا لمصافحة كل قادم لتعزيتهم.

«وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»

كان (سامي) يقف واهنًا لا ينظر في أعين من يصافحه، حتى وجد رجلًا

يحتضنه ويهمس في أذنه:

ــ آخر الأحزان إن شاء الله، أنا هستنى عليك لآخر الأسبوع، أنا برضه بفهم في الأصول ومقدر اللي حصل.

إنه المهندس (حسين) بالطبع!

هز (سامي) رأسه في فهم، فاطمأن (حسين) نوعًا ما وأكمل طريقه إلى داخل الصوان، في الوقت ذاته الذي أقبل (أحمد) على الصوان مصافحًا (آدم) ثم (سامي) في حرارة قائلًا لكليهما «شد حيلك» ولحقه بعد بعض الأشخاص (سعيد)، وأخيرًا (حازم) الذي احتضن (آدم) في حزن:

ــ البقاء لله، البقاء لله.

تصل الآيات إلى داخل منزل عائلة (غنيم) حيث النساء كلها ترتدي الأسود الآن، يتحركون هنا وهناك في عزاء النساء، وعلى أريكة كانت (رنا) في عدم وعي تجلس ناظرة إلى السقف، وضمتها (دينا) في حضنها، وهي تقول:

ــ (رنا)، ما تخوفينيش عليكي يا حبيبتي، بصيلي كدا وحسسيني إنك سمعاني، (رنا)! أنتِ سمعاني يا حبيبتي؟

تسألها امرأة:

ــ طب نجبلها دكتور؟

أجابتها (دينا) في ارتياب:

ــ مش عارفة مش عارفة! أنا خايفة عليها أوي!

«يا حماياااا، ما كانش يومك يا غاااالي!»

التفت الجميع لهذا الدخول المفاجئ لـ(سلمى) وهي ترتدى العباءة السوداء، وصدقوا جميعًا ما يرونه، ما عدا (دينا) التي نظرت لـ(سلمى) في ذهول، وحاولت (دينا) أن تسد أذني (رنا) حتى لا تسمع هذا الصراخ فيزيد انهيارها، ولا يزال وعي (رنا) غائبًا وعلى وجهها تعتلي نظرة مبهمة، بينما استمرت (سلمى) في هتافاتها مولولة:

ـــ دا أنا أبويا مات تاني النهاردا، كان دايمًا يقولي أنتِ بنتي يا (سلمى)، دلوقتي رااح.

اندفعت بعض السيدات ليهدئوا من روعها، وألقت (سلمى) جسدها عليهم كما لو أنها غير قادرة على صلب طولها، فاتسعت عينا (دينا) وفركتهما كما لو أنها تريد أن تتأكد أن ما تراه حقيقي.

أجلست السيدات (سلمى) التي تظاهرت أنها تحاول التماسك، وبعد دقائق تماسكت ونهضت مقتربة من (رنا) في توجس:

ـــ يا حبيبتي يا (رنا)!

والتفتت لـ(دينا) واحتضنتها قائلة في نحيب:

ـــ قلبي عندكم يا حبايبي، قلبي عندكم!

تركتها تحتضنها، وعلى وجهها ذهول تام!

وسألتها (سلمى):

ـــ هي (رنا) على الحال دا من إمتى؟

أجابتها (دينا):

ـ واحنا في الدفنة كانت برضه باصة للسما كدا وما بتتكلمش، دي حتى ما صوتتش ولا عيطت!

وفجأة حركت (رنا) شفتيها وكأنها تحاول أن تقول شيئًا ما، فهتفت (دينا):

ـ أيوة اتكلمي يا (رنا)، أنا (دينا) أختك.

حركت (رنا) نظرها ونظرت لـ(دينا) وعاودت المحاولة لتقول شيئًا ما، إلا أن (سلمى) اقتربت من (رنا) وقالت:

ـ إيه يا (رنا)؟ إيه يا حبيبتي بتشتكي من إيه احكيلي.

فاقتربت (دينا) بأذنها من شفتي (رنا)، فسمعتها تقول بصوت واهن وضعيف مصحوبًا بحشرجة:

ـ حامل!

حاولت (دينا) أن تُكذِّب سمعها، ولكن الكلمة كانت واضحة على الرغم من ضعف الصوت وحشرجته، وسمعتها (سلمى) جيدًا، فنظرت لـ(دينا) بنظرة دهشة بادلتها إياها (دينا) التي ارتبكت بشدة وسألتهما المرأة:

ـ هي بتقول إيه المسكينة؟

توترت (دينا) ولم تعرف بما تجيب، فأسرعت (سلمى) تكذب مجيبة في تلعثم:

ـ بتقول عطشانة.

حمدت (دينا) الله أن (سلمى) كذبت، واندفعت امرأة أخرى تأتي بكوب من الماء وناولته لـ(سلمى) التي حاولت أن تسقي (رنا) التي بدأت تنتبه

جيدًا وتمسك الكوب وارتشفت قليلًا، وبدأت تستعيد وعيها، بينما كانت تنظر لها (دينا) في ارتياب وخوف..

هل شقيقتها حامل حقًّا؟!!.. لا بالتأكيد هي مجرد هلوسة!

ماذا يحدث لأسرتها بحق الجحيم؟!

اليوم المظلم، الحادية عشرة مساءً..

انصرفت النساء من المنزل أخيرًا، وانفض الصوان، وغادر الأصدقاء والأحباب، ولم يتبقَ سوى عمهم يقف مع (سامي) و(آدم) في الشارع، فقال (سامي):

ــ يلا يا عمي نطلع؛ أنت أكيد محتاج تريح جسمك شوية.

قال العم في حزن وانكسار:

ــ ما عدش هيبقى في راحة يا بني.

صعدوا الثلاثة درجات السلم وضرب (آدم) الباب، ففتحت له (دينا) دون أن تنطق، فدخلوا ليجدوا المنزل خاليًا تمامًا، فسأل (سامي):

ــ أومال هي (رنا) فين؟

أجابته (دينا):

ــ دخلت نامت في الأوضة، و(سلمى) معاها، قالت مش هتسيبها وهتبات هنا النهاردا.

هز (سامي) رأسه في تقدير، بينما اقترب العم من غرفة أبيهم ودخلها ليتأملها في حزن، فتبعه (سامي) ووقف بجوار عمه ينظر لسرير الفقيد في

هدوء حزين.

دقات قلب (آدم) تسارعت وهو يقف بجوار (دينا) ينظر لهما من خارج الغرفة.. سينتبه (سامي) لاختفاء المال الآن بالتأكيد، ويجب عليه أن يتصرف طبيعي جدًّا وإلا سينهار كل شيء.

عقد (سامي) حاجبيه وهو ينظر أرضًا للبقعة التي من المفترض لحقيبة المال أن تكون بها، وتلفت بسرعة ينظر في جميع أرجاء الغرفة... لا أثر للحقيبة!!

أسرع يفتش المكتب والدولاب في جزع، حتى أن (دينا) و(آدم) دخلا الغرفة وتساءل (آدم):

ــ بتعمل إيه يا (سامي)؟

لم يجبه (سامي)، بل صاح موجهًا حديثه إلى (دينا):

ــ حد من الستات دخل الأوضة دي؟

هزت (دينا) كتفيها:

ــ أكيد طبعًا، دول ما سابوش حتة إلا ووقفوا فيها أو دخلوها.

صاح (سامي) بها معترضًا ومستنكرًا بلفظ غير لائق، فارتفع حاجبا (دينا) في دهشة من رد فعل أخيها الذي لم تعتده أبدًا، بينما تحرك (آدم) ناحيته محاولًا تهدئته بيده السليمة، وقال:

ــ يا بني قولي بس إيه اللي ضاع ومش لاقيه؟

استنتج العم الإجابة فقال هو فى هلع:

ــ الفلوس! حق الأرض! يا دي المصيبة!

شهقت (دينا)، وجلس (سامي) أرضًا مصدومًا، بينما قال (آدم):

ــ يا نهار أسود!

اندفعت (سلمى) إلى داخل الغرفة في قلق:

ــ إيه يا جماعة خير؟!،صوتكم عالي وأنا ما صدقت (رنا) تنام!

لم ينظر أحد لها، فنظرت لـ(آدم) متسائلة:

ــ إيه اللي حصل يا (آدم)؟

ــ الفلوس اتسرقت، فلوس الأرض، مش لاقينها.

وضعت (سلمى) يدها على صدرها في جزع:

ــ يا مصيبتي!

ونظرت لـ(سامي) أرضًا، وقالت في شفقة:

ــ مش هتتحبس يا (سامي) ما تقلقش هنلاقي حل!

رفع نظره لها وقال في غضب:

ــ أولع أنا مش مشكلة، المهم الغلبان اللي في المستشفى اللي كان مستني فلوس العملية!

نظرت (سلمى) أرضًا وظهر عليها التأثر، بينما أخذ العم يتمتم ببعض الجمل الدينية التي تحث على الصبر وانتظار الفرج، وانهمرت (دينا) في البكاء، وداخل (آدم) اشتعل حريقًا ينهش في ضميره..

ماذا فعل بعائلته بحق السماء؟!

(ماذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ، فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ، مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا، تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ).

سفر التكوين

سلمى

في اليوم التالي دخلت (سلمى) منزلها وأغلقت خلفها الباب، فوجدت والدتها بانتظارها وقالت:

- سيباني كدا من امبارح مش فاهمة أي حاجة!

تقبلها (سلمى) على جبهتها:

- اقعدي بقى عشان لازم تفهمي كويس اللي حصل، أول حاجة أنتِ لازم النهاردا تروحي تعزي اخوات (آدم)، تاني حاجة الأسبوع الجاي (آدم) هيكتب كتابه عليا.

ترد والدتها في ذهول:

- نعم؟! دا أبوه لسه ميت!

- واحنا بنفهم في الأصول ومش هنعمل فرح ولا حاجة، كتب كتاب وبس، من غير ولا زغروطة!

عقدت حاجبيها وتقول في عدم اقتناع:

ـ وهم اخواته مش هيعرفوا إن هو اللي خد الفلوس وجابها لهنا ؟!

هزت (سلمى) كتفيها في ثقة:

ـ عيب عليكي! دا أنا قُلت لـ(آدم) يروح يعمل بلاغ بالمبلغ المسروق دلوقتي.

ـ برضه أنا شايفه إنك غلطانة يا (سلمى)، وليه تضطري تعيشي مع واحد زي دا، مش متزن ومريض نفسي ؟!

تبتسم (سلمى) وتقول في هدوء وهي تغمز لوالدتها:

ـ (آدم) مش مريض نفسي، (آدم) مريض بيا.

بادلتها والدتها الابتسامة الماكرة، وقالت:

ـ طب ما نلبس أنا وأنتِ دلوقتي ونروح نحط الفلوس باسمك في البنك، وتنفصلي عنه وهو مش هيقدر يفتح بؤه ولا يقول لحد!

هتفت (سلمى) مستنكرة:

ـ أنتِ بتقولي إيه يا ماما ؟!

نظرت لها والدتها في حيرة، فأكملت (سلمى):

ـ بقولك (آدم) بيحبني، والفلوس دي سرقها عشاني، يعني أنا لو سبته هيبقى مستبيع، عارفة يعني إيه مستبيع ؟!، يعني ممكن يروح يبلغ

عنه وعني، أو ممكن يقتلني حتى، توقعي كل حاجة منه وقتها!

شهقت والدتها وهي تتخيل ما تسمعه وتوترت وقد وضعت يدها على صدرها واتسعت عيناها، فحاولت (سلمى) تهدئتها:

ــ يا ماما يا حبيبتي ما تقلقيش، أنا مش هكون متضايقة وأنا عايشة مع (آدم)، وعارفة كويس إزاي هتعامل معاه، صدقيني دلوقتي (آدم) بقى أنسب شخصية أوصل بيها لكل أحلامي، وبعدين أنا بستظرفه!.. يعنى حياتي معاه مش هتبقى نار يعني!

دق (آدم) الباب في تلك اللحظة، فأشارت (سلمى) لوالدتها بأن تصمت، وأسرعت تفتح الباب له وهي مبتسمة:

ــ أهلًا بجوزي.

دخل (آدم) ولم يلقِ التحية على والدتها، بل اتجه ناحية غرفة (سلمى) المغلقة، وقال:

ــ تعالي يا (سلمى) عايز اتكلم معاكي.

تبعته (سلمى) للغرفة في قلق، وشاركتها والدتها القلق لكنها لم تتحرك، وداخل الغرفة أغلق (آدم) الباب خلفهما، وقال في توتر وارتباك وشيء من الصرامة:

ـ (سلمى)، أنا عايز الفلوس اللي عندك هنا.

رفعت (سلمى) شفتها العلوية معترضة:

ـ نعم؟!

ـ (عمر) يا (سلمى)، مش هينفع نسيبه كدا، وما ينفعش أسيب (سامي) يتسجن.

ردت (سلمى) في غضب:

ـ بس الفلوس دي لما جبتهالي امبارح أنا اعتبرتها مهري وشبكتي، لو خدتها يبقى أنت بتسحب دا وبتنفصل عني.

اهتز (آدم) وتلعثم:

ـ طب هاتي نص مليون يا (سلمى).. نعمل العملية لـ(عمر) عشان يقوملنا بالسلامة، وهنحاول نستلف لـ(سامي) أو يمكن هو يعرف يتصرف.

عادت هي تقول في عناد وإصرار وبجاحة:

ـ ما ينفعش يا (آدم)!

كان يشتعل من الداخل ولكنه كان يعرف جيدًا أنه لا يمكن أن يقبل ما تطلبه منه حبيبته.. كان جسده يرتعش على الرغم منه، فصاح بها ليظهر قوته على الرغم من أن الدمعة التي سالت منه أظهرت ضعفه:

ـ بقولك أخويا! هاتيلي الفلوس حالًا، ما تحاوليش!

أدركت (سلمى) أنها بالغت، وأنها لا يمكن أن تتوقع قبوله لما تطلب، ففاجأته واقتربت فجأة منه لتلصق شفتيها في شفتيه وهي تمسح دمعته بيدها في حنان، لتقبله لأول مرة..

طالت القبلة طويلًا، ثم احتضنته وهمست بصوت دافئ:

ــ ما تخافش يا حبيبي.. هنتصرف!.. أنا جمبك وبحبك.

ااه ياعمري، اتركيني في حضنك بضع لحظات أخرى..

بضع لحظات تشهد على عشقي وشوقي وحرماني واحتياجي لأستعيد روحي الهائمة منك، كم أنتِ جميلة حقًّا!

اسحبيني إلى صدرك ولا تبالي بهذا العالم البائس، أريد ان أشتم رائحتك، أريدك أيتها الملعونة، أريد كل شبر فيكِ!

أريد أن أصرخ، أريد أن أبكي بداخلك أنتِ، انطقيها الآن وقولي أنك تحبيني، أنك تريديني، ترغبيني كما أرغبك.

لقد أصبحت ملكك للأبد، سأفعل ما ترغبين، ماتشائين، لك الأمر والنهي يا ملكتي، اتركيني فقط هنا، أرجوكِ.

الآن أيقنت أنني مسحور بك، ملعون بك يا أنثتي.

حركت يدها لتمسك رأسه وتضمها في حضنها وتكمل:

ــ خليك واثق فيا، واثق في حبيبتك.

سالت منه دموع غزيرة في حضنها، فتركته يبكي قليلًا ثم أشارت هي لمقعد في الغرفة:

ــ اهدا يا حبيبي واقعد ارتاح وأنا هقولك هنتصرف إزاي بالظبط.

جلس (آدم) وكان جسده ما زالت لم تفارقه الرعشة بعد، فجلست هي

على قدمه وعانقته، وظلت على هذا الوضع لدقائق حتى استكان جسده تمامًا، وأصبحت هي الآن على أتم استعداد لما هي على وشك أن تقوله.

ــ اسمعنى بقى يا حبيبي وأنا هطمنك.

هز رأسه ليحثها على بداية الحديث، فقالت وهي تعتدل في جلستها في حجره، وتتحسسه لأنها تعلم جيدًا كيف يثيره هذا ويسعده:

ــ دلوقتي اللي أنت طلبته دا مستحيل نعمله.. مش عشان احنا أولى بالفلوس من أخوك اللي محتاج العملية عشان يرجع يمشي تاني.. لأ طبعًا!.. لكن عشان تقدر تقولي هتقول لاخواتك إنك جبت الفلوس منين ؟!

أنت عارف إنهم لو عرفوا بس اللي أنت عملته مش بس هيقاطعوك، دول ممكن يؤذوك أو يبلغوا عنك، دا (سامي) ممكن يقتلك فيها!! طب فكر فيا أنا.. دا أنا ممكن اتورط معاك في اللي أنت عملته مع إني كل جريمتي هو إني وقفت جمبك وساندتك وسبتك تعين الفلوس عندي.

رد (آدم) في سرعة:

ــ لا يا حبيبتي اتطمني، أنا لا يمكن أأذيكي، بس احنا ممكن نجبها على أساس إن حد اتبرع لـ(عمر) أو كدا.

ابتسمت (سلمى):

ــ الأول لازم نتفق على حاجة، عملية (عمر) أمانة في رقبتنا، إنما شيكات (سامي) دي فمش هينفع ندفعهاله، معلش يعني أخوك هو اللي يتصرف فيها، وأنا واثقة إن (سامي) هيعرف يتصرف.. ولو ما عرفش واتحبس ما ينفعش برضه تفكر تساعده.

نظر لها (آدم) في تردد، فأكملت هي لتتأكد من إقناعه:

ـ أومال تساعده فيعرفوا إن الفلوس كانت معاك من الأول.. فتدخل أنت السجن وهو يطلع؟ كدا كدا حد فيكم هيتسجن، يبقى هو.. ما ينفعش أنت يا (آدم)!!

وبذلت مجهودًا حتى تجبر عينيها أن تمتلئ نوعًا ما بالدموع، وهي تضيف:

ـ هتسيبني لمين؟!

ضمها له في حب، فأكملت وهي تبكي:

ـ عايزاك توعدني إننا هنعمل لـ(عمر) العملية، لكن موضوع (سامي) دا ما لناش دعوة بيه أبدًا.

أجابها وهو يضمها بقوة أكبر:

ـ أوعدك يا حبيبتي، ما دام وعدتيني إننا لازم نعمل لـ(عمر) العملية مهما كان.

شعرت (سلمى) بالراحة، وأبعدت نفسها عن حضنه حتى تتمكن من النظر إليه، وهي تقول في غموض:

ـ أوعدك، وهنعملها من غير ما ندفع ولا مليم!

ظهرت دهشة كبيرة عليه وعقد حاجبيه في حيرة:

ـ إزاي؟!

أخذت تبحث (دينا) على حاسوبها عن فضل إدخال شخص للإسلام، استمرت كثيرًا في القراءة ومشاهدة الفديوهات، وانبهرت بشدة من الثواب الذي يعود عليها إذا أدخلت شخصًا الإسلام.

ثم اتجهت للقراءة عن المرأة وعن زواجها من غير المسلم، هذا لا يجوز شرعًا بشكل واضح.

اهتز الهاتف بإتصال من (أحمد)، فأجابت (دينا):

ـ آلو.

ـ أيوة يا (دينا)، عاملة إيه النهاردا؟

ـ الحمد لله على كل حال.

ـ كان نفسي اعزيكي بنفسي امبارح بس ما كانش ينفع، بس أنا جيت عزيت اخواتك.

ـ متشكرة يا (أحمد).

ثم استجمعت شجاعتها لتسأله:

ـ هو أنت مسلم يا (أحمد)؟

صُدِم (أحمد) من السؤال، لكنه أجاب في ضحك:

ـ واحد اسمه (أحمد) هيبقى إيه؟!

ـ لا أنا ما بتكلمش عن الاسم، أنت بتعد نفسك مسلم؟

توتر (أحمد) وأجاب:

ـ أيوة اه أومال هبقى إيه؟

ترد (دينا) في عصبية:

ـ ما أنت ممكن تبقى ملحد أو لا ديني أو أي حاجة تانية!

ـ أنتِ عايزة إيه يا (دينا)؟

تنهدت (دينا)، ثم سألته في وضوح:

ـ يعني أنت لو هتتجوز واحدة، هتكتب كتابها على سنة الله ورسوله؟

أسرع هنا بالإجابة فورًا:

ـ طبعًا طبعًا، بس هي توافق بس.

شعرت (دينا) بالراحة والسعادة، لكنه تابع قائلًا:

ـ شوفي يا (دينا)، ما اكذبش عليكي، أنا مش بحب المتدينين، بس أنا بآمن بالحرية.. يعني البنت اللي عايزة تتحجب تتحجب، لكن مش مراتي اللي تبقى محجبة.. أنا بحس البنت المحجبة معندهاش شخصية وضعيفة كده.. عشان كدا كنت مبسوط جدًّا لما قلتيلي آخر مرة إنك هتقلعي الحجاب خلاص، صحيح قلعتيه مش كدا؟

تلعثمت (دينا) ووجدت نفسها تكذب:

ـ أيوة أيوة خلاص، نزلت من غيره الأسبوع اللي فات أصلًا.

شعرت أنها تستحقر نفسها لما تقوله، فتنحنحت وقالت في حزم وارتباك:

ـ ما يصحش الحوار اللي بنتكلم فيه دا عامة يا (أحمد)، أنا بابا لسه متوفي امبارح.

ـ أنا آسف جدًّا ما كنتش اقصد ادخل في حوارات و...

قاطعته في حدة:

ـ سلام.

وأنهت المكالمة.

لم تغادر (رنا) غرفتها منذ أن دخلتها ليلة أمس.. لقد أصبحت متزنة وواعية الآن لما حدث..

تبكي كثيرًا حتى تنضب دموعها ثم تهدأ وتعيد الأمر مجددًا.

لم يتوقف (سعيد) عن الاتصال بها وهي لم تجبه أبدًا، فعلى الرغم من احتياجها له، إلا أنا مسحته من حياتها للأبد.

انفتح باب الغرفة ودخلتها فتاة ظنتها (رنا) أنها (دينا)، لكنها كانت (سلمى) التي أغلقت الباب واقتربت منها في هدوء وجلست على طرف سريرها وانتظرت كثيرًا دون أن تنطق.. حتى قالت أخيرًا:

ـ (رنا)، محتاجة اتكلم معاكي في حاجة.

ردت عليها دون أن ترفع رأسها لها:

ـ اتكلمي.

تنهدت (سلمى) قبل أن تقول في هدوء:

ـ (عمر) محتاجك.

رفعت (رنا) نظرها إليها في قلق وقالت:

ـ حصل حاجة ؟!

ربتت عليها لتطمئنها، وقالت:

ـ هيحصله إيه أكتر من اللي هو فيه ؟ أنا بقول محتاجك لانه محتاج يقف على رجليه تاني.

لم تفهم (رنا) ما ترمي إليه (سلمى) التي أكملت موضحة:

ـ بعد فلوسكم اللي اتسرقت أنتِ الوحيدة اللي تقدري تساعديه.

عقدت (رنا) حاجبيها وقد زادت حيرتها، وهي تستمع لـ(سلمى):

ـ أنتِ الوحيدة اللي تقدري تدفعي مبلغ النص مليون دا.

هنا ردت (رنا) في استنكار:

ـ أنتِ بتقولي إيه ؟!

كانت (سلمى) تستمتع بتلك الحيرة على ملامحها، وقررت أخيرًا أن تفصح عما تقصده، فقالت:

ـ اتجوزي (حازم) يا (رنا).. هو مش هيبخل أبدًا إنه يدفع المبلغ دا عشانك.

صُدمت (رنا) مما سمعته، واندهشت من جراءة (سلمى) من طرحها لهذا الاقتراح وظهر الذهول عليها، واستمرت (سلمى) في الحديث:

ـ (حازم) يقدر يدفع المبلغ دا، هو صحيح مبلغ كبير جدًّا.. لكن هو مش هيدفعه عشان بس يساعد أخو صاحبه.. لكن هيدفعه لو شاف إن دا معناه إنه هيتجوزك.

اتسعت عينا (رنا) وهي ما زالت تحاول استيعاب الأمر، و(سلمى) تكمل:

ـ (حازم) كان جاري وأنا عارفاه، (حازم) عريس كويس، أنا عارفة إنه متشدد وأنا فاهمة أنتِ ليه رفضتيه، ولو كنت مكانك كنت رفضته، بس أنتِ ما قدامكيش حرية الاختيار دلوقتي!.. هتسيبي أخوكي في المستشفى عاجز لحد لما يموت عشان مستكبرة إنك تتجوزي واحد متشدد ؟!

ظهر على (رنا) أنها تفكر في الأمر، ولكنها هزت رأسها وقالت لتنفض هذه الفكرة عن بالها:

ـ اخرسي اخرسي، ما ينفعش اللي بتقوليه دا!

إلا أن (سلمى) تابعت في حدة:

ــ مش هتبقي خسرانة في ال(deal) دا يا (رنا)، (حازم) لو كلمتيه هيتجوزك بكرة، واهو حتى تبقي حليتي مشكلة اللي في بطنك دا.

انتفضت (رنا) في صدمة وهتفت:

ــ إيه ؟!

ابتسمت (سلمى) في دهاء:

ــ يبقى أنتِ حامل فعلًا.. ما كنتيش بتخرفي يعني امبارح.. كنت متأكدة.

صاحت (رنا) بها:

ــ اطلعي برة!

نهضت (سلمى) في غضب، وعادت (رنا) تصرخ:

ــ بقولك برة!

غادرت (سلمى) الغرفة، ولكنها أدركت أنها نجحت فيما أتت من أجله، فهي واثقة أن (رنا) ستقبل ما عرضته عليها.

ألقت (رنا) جسدها على سريرها تبكي، ثم تركت نفسها تفكر بالأمر.. ما قالته (سلمى) مقنع.. سوف تنقذ أخاها (عمر) وستحل أزمة حملها، ولكن بعض الأمور غامضة.. فماذا ستقول لـ(حازم) عن هذا الحمل ؟!

دخلت (سلمى) الغرفة مجددًا وتساءلت:

ــ هديتي ؟!

تركتها (رنا) تدخل وتقترب منها وتجلس بجوارها على السرير، وأدركت (سلمى) أن صمت (رنا) هو أسلوبها في دعوتها للحديث وشرح الأمر..

فقالت (سلمى):

ـ أنا هبقى جمبك لحد لما نخلص من الموضوع دا.

قالت (رنا) في حزم:

ـ عشان نبقى واضحين، أنا هعمل دا عشان خاطر (عمر) وبس.

هزت (سلمى) رأسها في تفهم، وقالت في استعجال:

ـ المهم دلوقتي يلا البسي، أنا حجزالك معاد عند الدكتور.

التفتت (رنا) لها في دهشة:

ـ دكتور ليه ؟!

ابتسمت (سلمى) في ذكاء وقالت بلهجة ذات مغزى:

ـ عشان نخليكي عروسة تاني!

دخل (سامي) معرض السيارات فنهض المهندس (حسين) صاحب الملامح الغليظة يصافحه في حرار:

ـ إزيك يا أستاذ (سامي)، مش محتاج حاجة ياخويا ؟!

رد عليه (سامي) في انكسار:

ـ تشكر يا بشمهندس (حسين).

ثم صمت لحظة قبل أن يستطرد قائلًا:

ـ في الواقع اه محتاج.

نظر له (حسين) في ضيق، لأنه توقع ما على وشك أن يسمع، وقال (سامي):

ـ الفلوس مش جاهزة معايا، الفلوس اتسرقت والله العظيم!!

هز (حسين) كتفيه في لا مبالاة:

ــ أنا ما ليش في الكلام دا يا (سامي).

وأضاف في طريقة مستفزة:

ــ أنت عارف نظامي كويس، أنا المفروض كنت اقدم الشيكات لقسم الشرطة من أول امبارح، بس تقديرًا مني للظروف استنيت، وقلتلك امبارح في عزا المرحوم إني هصبر عليك لآخر الأسبوع، يعني الجمعة، وكدا يبقى عداني العيب.

هتف (سامي) في غيظ:

ــ بس الجمعة دا يبقى خلاص بكرة.

ــ اتصرف بقى، شوف حد يسلفك.

صاح (سامي) في عصبية:

ــ أنا حتى لو لقيت حد يسلفني مبلغ زي دا هاخد الفلوس وهدفعها للمستشفى اللي أخويا نايم فيها ومحتاج عملية! عارف الكلام دا؟

رد (حسين) في برود:

ــ ألف سلامة عليه.

حاول (سامي) أن يحافظ على أدبه وهدوئه، وقال في محاولة أخيرة:

ــ طب ما ينفعش تصبر عليا لآخر الشهر بس طيب؟!

ضحك (حسين) في تهكم، ثم قال في جدية:

ــ بص يا (سامي)، أنا مش بمزاجى اصبر عليك، العربية اللي أنت كنت مأجرها أنت عارف إنها مش بتاعتي، دي بتاعة زبون عندى بيديهالي أأجرهاله.. والراجل دا هو اللي عايز الفلوس منى.. تقدر تقولي لو أنت ما

جبتهاليش هدفعهاله منين؟! الراجل دا مش هيصبر أكتر من بكرة، وعشان خاطرك هخليه يستنى لبعد بكرة يا عم.. إنما بعد بكرة لو ما جبتليش الفلوس لازم اقدم الشيكات اللي معايا لقسم الشرطة عشان أخلي مسؤوليتي قدام صاحب العربية.

أدرك (سامي) أنه لا أمل، فاتجه لاستعطاف الرجل وحاول ألا يبكي:

ــ طب أنت معاك تدفعله وأنا هسددلك كل شهر قسط؟ أو شغلني عندك في المعرض ببلاش وخد مرتبي ليك أنت إن شالله طول عمري كله!

ضحك الرجل ثانية في استنكار ساخر، فخرج (سامي) عن أعصابه ولكمه في وجهه بقوة أدهشت (حسين)، فهجم بعض الرجال في المعرض مسرعين ناحية (سامي) ليضربوه في عنف، حتى استعاد (حسين) اتزانه وأخذ يشاهدهم وهم يلقنون (سامي) درسًا قاسيًا، وانهالوا عليه باللكمات المؤلمة، والضربات الموجهة التي دفعته للتأوه على الرغم منه، حتى صاح (حسين) برجاله:

ــ خلاص يا رجالة.. سيبوه يمشي.

ابتعدوا عن (سامي) الذي كان ساقطًا أرضًا يسيل الدم من أنفه وفمه، واستغرق وقتًا حتى تمكن من النهوض، ثم غادر فورًا، ومن خلفه أتاه صوت (حسين) يقول في وعيد:

ــ بعد بكرة يا (سامي).. بعد بكرة!

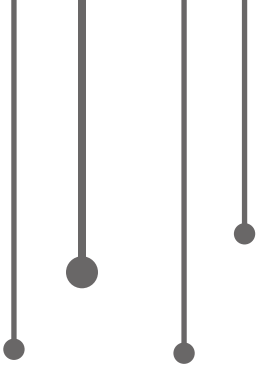

لعنة الهوى التى لم تكتفى بطردنا من الجنة بل عازمة على أن تجعل حياتنا فى الأرض جحيما..

والتاريخ يعيد نفسه مهما مرت الأزمنة.. وأنت لست مختلفا مهما اعتقدت..

احذر.. فكلنا أحفاد آدم.

قبلت زواجك

السابع من ديسمبر، الساعة السابعة مساءً..

بعد إجراء العملية عادت (سلمى) بـ(رنا) إلى منزلها، وكانت (رنا) تتحرك بعصوبة وتحتاج للراحة، فلم تفهم (دينا) عندما رأتهما يدخلان عليها المنزل معًا، لكنها أسرعت تسند (رنا) وهي تسألهما:

ـ أنتوا جايين منين؟!

أجابتها (سلمى):

ـ كنا بنتمشى شوية.

خرج (آدم) من الغرفة ونظر لهما في حيرة، وساعدهم في إدخال (رنا) غرفتها، لتستلقي على سريرها، وقالت:

ـ سيبوني لوحدي شوية.

تحرك الثلاثة ليغادروا، لكن (رنا) عادت تنادي:

ـ استني يا (سلمى) عايزاكي.

اندهشت (دينا) ولم يفهم (آدم)، إلا أن (سلمى) ردت:

ــ حاضر يا حبيبتي.

غادر (آدم) و(دينا)، وأغلقت (سلمى) الباب وعادت لـ(رنا) التي نظرت لها في امتنان، وقالت:

ــ شكرًا على وقفتك جمبي يا (سلمى)، على الرغم من إن ما لكيش أي مصلحة، لكن فكرتي فيا وفي (عمر).. بدأت أحس إن (آدم) محظوظ بيكي.

ابتسمت (سلمى):

ــ ارتاحي أنتِ بس وما تشغليش بالك.

ــ إوعي في يوم تحكي لـ(آدم) أو أي مخلوق عن اللي عملناه دلوقتي.

ردت عليها (سلمى) في جدية:

ــ وعد مني ما فيش مخلوق هيعرف، والشهر الجاي لما تبلغي الكل إنك حامل من (حازم) أنا أول واحدة هفرحلك.

ثم تساءلت في فضول:

ــ لكن هو اللي في بطنك دا ابن مين بجد؟!

أجابتها (رنا) في حزن:

ــ واحد مسحته من حياتي، انتهى بالنسبالي.

هزت (سلمى) رأسها في تقدير، وغادرتها قائلة:

ــ تمام، هطلع أنا على شغلي بقى.

غادرتها لتصبح (رنا) وحيدة في غرفتها أسيرة أفكارها الأليمة، فهي لأول

مرة في حياتها تشعر بالندم.. ليس لأنها أقامت علاقة دون زواج، لكن لأنها أقامت علاقة مع رجل لا يستحقها.. حاولت أن تقنع نفسها أن السبب الوحيد لزواجها من (حازم) هو مساعدة (عمر)، فقط لا غير.. وليس للإفلات من أزمة حملها.. يجب أن تقنع نفسها بهذا حتى تتمكن من الحياة مع رجل لا تحبه ولا تبلع توجهاته ولا أسلوب حياته.

قامت (رنا) بالاتصال بـ(حازم) الذي أجاب فورًا:

ـ (رنا)! البقاء لله!! البقاء لله!!

ردت في هدوء وبطء:

ـ متشكرة يا (حازم).

ـ أنا والله ما عارف إيه اللي بيحصلكم الأيام دي، أنا حزين بجد، لكن إن أحب الله عبدًا ابتلاه، وربنا بيحبكم أوي صدقيني، المهم دلوقتي هو الصبر حتي ينفرج الكرب.

تقول (رنا) متجاهلة كل ما سمعته:

ـ أنا موافقة.

لم يفهم (حازم)، فقال في دهشة:

ـ نعم؟!

ـ موافقة اتجوزك، فاكر آخر اقتراح قلتهولي؟ إني مش هتحجب وهعيش في شقة لوحدي وهنمثل على مامتك إني منتقبة؟! وفي شغلي مش هنعرفهم إني مراتك بحيث الخبر ما يوصلش للإعلام والصحافة ولجمهورك أبدًا.

قال في لهفة:

ــ أيوة فاكر فاكر، وأنا لسه عند كلامي طبعًا.

ــ بس لازم تثبتلي إنك شاريني وبتحبني فعلًا.

رد في سعادة:

ــ قولي اثبتلك إزاي وأنا هثبتلك!

قالت في وضوح وصرامة:

ــ أنا هعتبر مهري إنك تدفع تكاليف عملية (عمر) أخويا، وتدفع شيكات (سامي) اللي مديون بيها.

هتف في استنكار:

ــ بس أنا عارف من (آدم) إن العملية محتاجة نص مليون جنيه! وشيكات (سامي) دي بنص مليون برضه!

ردت في ثبات:

ــ يعني شايف إن دا رقم كبير على مهري وفي نفس الوقت مساعدة أهل صاحبك؟

رد في عصبية:

ــ أنا موافق ادفع تكاليف عملية (عمر)، لكن (سامي) مش هينفع.

قالت في هجوم:

ــ ليه؟! عشان مش بيحبك؟!، طب ما (عمر) كمان ما كانش بيحبك!

أدرك (حازم) أنه في موقف قوة، فأصبحت لهجته قوية وهو يرد:

ــ عشان (سامي) راجل مسؤول عن كل أفعاله، هو اللي مضى على

الشيكات وكان عارف خطورة إنه يأجر عربية ما معهوش جنيه من تمنها.

صاحت هي في غضب:

ــ بس (آدم) اللي عمل الحادثة، ليه يدفع (سامي) تمنها؟!

ــ و(سامي) برضه اللي وافق يديها لـ(آدم) على الرغم من أنه عارف إنه لسه متعلم السواقة، يبقى لازم يتحمل المسؤولية.

ــ (حازم)!

أدرك (حازم) هنا أنها تساومه بوضوح، فصمت قليلًا ليفكر، ثم قال:

ــ (رنا) أنا ما اعرفش أنتِ فاكرة ثروتي كام! أنا لسة ما كملتش سنة في برنامجي اللي بقدمه، واللي كنت بقبضه قبل كدا كان قليل، أنا ما اقدرش غير على نص مليون واحد فيهم وبس!!

يئست (رنا) أن يدفع المزيد، فتنهدت في استسلام:

ــ ماشي يا (حازم).

ــ وفي حاجة كمان يا (رنا).

شعرت (رنا) بالغضب من أسلوبه القوي الناتج عن إدراكه أنها هى من تحتاجه، واستمعت له:

ــ هنتجوز علانية، وهتعيشي معايا في الفيلا بتاعتي مع أمي وأختي، وهتنتقبي، موضوع الجواز في السر دا مش مريح، ولا لسة عندك مانع وشايفة نفسك هتبقي كيس شيكولاتة وكدا؟!

كانت تشتعل هي غضبًا، وتسبه في أعماقها لأنه يستغلها بعدما رأى ضعفها، لكنها صارحت نفسها بأنها من تستغله أكثر، تستغله أكثر مما

يعرف!

فأجابت في غيظ:

ـ موافقة يا (حازم).

تنهد في راحة:

ـ على بركة الله، هحدد معاد مع أخوكي و...

قاطعته قائلة:

ـ تدفع تكاليف العملية بكرة يا (حازم).

ـ يبقى نكتب كتابنا بكرة يا (رنا).

كان هذا هو بالتحديد التوقيت الذي تريده نظرًا لحملها، ولكنها تظاهرت أنها لم تكن مرحبة وهي ترد:

ـ موافقة.. حقك.. اتفق مع (آدم).

انتهت المكالمة، وأراحت رأسها على الوسادة، من كان يتوقع منذ أسبوع أن حالها سيغدو هكذا؟!

ولكنها الدنيا وألاعيبها...

خلع (حسام دياب) الميكروفون وسماعة الأذن بعد انتهاء حلقة اليوم، ونظر للمصورين خلف الكاميرا ليسأل في حماس:

ـ (سلمى عصام) فين؟!

ظهرت (سلمى) وسطهم ترفع يدها:

ـ أهو يا مستر (حسام).

أقبل عليها في إعجاب وقال:

ــ التقرير كان حقيقي ممتاز، أنا ما غلطتش لما اديتك فرصة تانية.

ابتسمت هي في تقدير:

ــ ولسة هبهرك!

ابتسم في مجاملة وغادرها، ثم تحدثت هي عبر هاتفها:

ــ أيوة يا حبيبي، آه أنا في القناة.. ماشي عدي عليا.

وعلى الجانب الآخر رد (آدم) عليها وهو يسير وسط زحام الشارع:

ــ كنت مع (حازم).. تخيلي قابلني عشان يديني النقاب اللي (رنا) تلبسه بكرة في القاعة ؟!

ضحكت (سلمى) بشدة، ثم تساءلت:

ــ هيبقى الساعة كام بقى ؟!

ــ أنا خلاص اتفقت مع المأذون ومع (حازم)، هنكتب كتابهم بكرة الساعة سبعة في قاعة (الخير)، (حازم) اللي مأجرها.

ردت (سلمى) في سخرية:

ــ فرح إسلامي ؟!

ــ لا! كتب كتاب بس، لا فرح إسلامي ولا فرح عادي، عشان بابا الله يرحمه.

ــ الله يرحمه.

قال (آدم) في تردد:

ــ مش فرصة نكتب كتابنا معاهم برضه ؟!

أتاه الرد بعد ثوانٍ قليلة:

ــ ماشي ما فيش مشكلة.

لم يكن هذا الرد الذي يتمناه، فلم يشعر بأي فرحة أو حماس!!

ردها لم يختلف عن ردها عندما يدعوها لخروجة ما، لكن على الأقل أسعدته موافقتها على الرغم من أنه أمر محسوم بعد جريمة السرقة!

غير مجرى الحوار قائلًا:

ــ نفسي اعرف قدرتي تقنعي (رنا) إزاي إنها تتجوز (حازم)؟!

ضحكت (سلمى) في غرور:

ــ ولا عمرك هتعرف.

غازلها (آدم):

ــ بس أنا طلعت متجوز معلمة.

ــ إيه معلمة دي؟! اسمها أستاذة أو برنسيسة.. نقي ألفاظك بقى.

ضحك (آدم):

ــ الإعلامية يا ستي.

ابتعدت (سلمى) قليلًا عن زملائها حتى تتأكد أن لا أحد يسمعها:

ــ وهرجعك تشتغل في القناة قريب.

رد عليها في دهشة:

ــ إزاي؟! مستحيل يا بنتي! أنتِ معلمة آه بس مش للدرجادي.

قالت في تحدٍّ:

ــ هتشوف.. في حاجة في دماغي كدا وأنا متأكدة إنها هتنفع، بس

محتاجين حد يساعدنا.

لم يفهم (آدم) شيئًا، فسألها في فضول:

ــ ممكن تشرحيلي بالظبط ؟!

قالت في استمتاع:

ــ لأ، لما تيجى بقى.

رد في شغف:

ــ مسافة السكة.

«بقى تقلعي الحجاب وما تقوليش ؟!»

انتفضت (دينا) خارجة من شرودها، وهي جالسة في ردهة المنزل، عندما وجدت (رنا) تجلس بجوارها ووجهت لها السؤال السابق، فارتبكت (دينا) دون أن تجيب، فأضافت (رنا) في سخرية:

ــ طب على الأقل كنتي عرفيني إنك قلتيله كدا بدل ما كنت هلبسك في حيطة واقوله إنك لسة محجبة.

هتفت (دينا) في قلق:

ــ هو (أحمد) كلمك ؟!

ــ أيوة اتصل بيا وقالي إنه كان متردد بقاله فترة يتقدملك، بس لما عرف منك إنك قلعتي الحجاب اتأكد إن قلبه حب الإنسانة المناسبة له فعلًا!

تألقت عينا (دينا) في لهفة:

ـ يتقدملي ؟!

ـ خلينا في المهم، كذبتي عليه ليه وقُلتليه إنك قلعتي الحجاب ؟!

شعرت (دينا) بالإحراج وهي تدافع عن نفسها:

ـ بصراحة هو دا اللي طلع من لساني بقى.

ثم عادت تسأل في شغف:

ـ هو قالك إنه هيتقدملي فعلًا؟!

قالت (رنا) في ضيق:

ـ (دينا)، أنتِ فعلًا هتقلعي الحجاب عشان ترضيه وعشان يتجوزك ؟!

شعرت (دينا) بأنها متهمة، فقالت في غضب:

ـ أنا لسه ما قررتش، وبعدين أنا حرة.

تنهدت (رنا) وقالت في حنان:

ـ (دينا)، مهما كنتي بتحبيه ما ينفعش تتظاهري بإنك مؤمنة بحاجة غير اللي في قلبك فعلًا، وإلا العلاقة بينكم مصيرها الفشل أكيد.

ردت (دينا) في حدة:

ـ ما بلاش أنتِ!.. ظريف إن تيجي النصيحة دي منك وأنتِ هتلبسي النقاب من بكرة!

اتسعت عينا (رنا) مصدومة وفتحت فمها غير مصدقة رد فعل شقيقتها، فردت عليها في صرامة:

ـ عندك حق.

ونهضت واتجهت لغرفتها، تاركة (دينا) وحدها على الأريكة في ردهة

المنزل تشعر بالضيق، حتى رن جرس الشقة، فنهضت لتفتح الباب:

ـ (سعيد)؟!.. إزيك؟!

ـ الحمدلله يا (دينا)، هي (رنا) هنا؟

لم تدعه (دينا) للدخول، وشعرت بالإحراج لعدم وجود أي من أشقائها الذكور، فاكتفت بالإجابة:

ـ آه موجودة، طب هناديهالك.

وتركته واقفًا أمام باب الشقة، ودخلت غرفة (رنا) تناديها ولم تكد تعلم (رنا) بوجوده، حتى انتفضت في رعب وهتفت بها:

ـ خليكي هنا ما تخرجيش.

لم تفهم (دينا) السبب، ولكنها نفذت ما أخبرتها به (رنا) التي خرجت من الغرفة لتواجه (سعيد) على إنفراد، الذي كان ما زال واقفًا في مكانه عند باب الشقة، وتألقت عيناه في حب واشتياق عندما وقع نظره عليها، ووجد نفسه يدخل الشقة ليقترب منها:

ـ (رنا)، وحشتيني!

مدت يدها لتوقفه على مسافة منها، حتى لا يلمسها، فتوقف هو وتأمل ملامحها الجافة وهي تقول في حدة:

ـ أنت إيه اللي جابك هنا؟!

ـ جيت اشوفك واتطمن عليكي.. البقية في حياتك.

ـ أنا ما بقاش في حاجة تجمع بيني وبينك، ومش عايزة اشوفك تاني.

اقترب منها وقال بصوت منخفض، حتى لا يصل الصوت لـ(دينا) داخل

الغرفة:

ـ واللي في بطنك يا (رنا)؟!

كذبت فورًا في ثقة:

ـ سقطته.

أذهلته الإجابة، ولكن ظهرت على وجهه الراحة، فقالت هي في تهكم:

ـ أيوة خد نفسك كدا وارتاح.

ـ يا (رنا) أنا بحبك، وزي ما وعدتك، سنة وهواجه أمي و...

قاطعته في غضب:

ـ بقولك ما بقاش في حاجة تجمع بيني وبينك، أنت ما بتفهمش؟! ومش عايزة اسمع سيرة أمك دي تاني.

قال في إصرار:

ـ بحبك يا (رنا)!

ردت عليه في ثبات، وهي تقاوم دموعها:

ـ أنت ما حبتنيش كفاية يا (سعيد)، أو يمكن حبتني كفاية بس ما كنتش راجل كفاية!

امتلأت عيناه بالدموع:

ـ (رنا) أنا مش هقدر أعيش من غيرك!

دفعته (رنا) بقوة حتى أخرجته خارج الشقة وهو يكرر آخر عبارة عدة مرات، حتى أغلقت عليه الباب في قوة، ليظل (سعيد) بالخارج مصدومًا يبكي..

سيصلح العلاقة بينهما، قصة حبهما لم تنتهِ عند هذا الحد!

كان هذا ما يظنه على الأقل وهو يهبط درجات السلم في بطء حزين، ليقابل فجأة (آدم) الذي نظر له في دهشة ومن خلفه (سلمى)، فقال (آدم):

ــ (سعيد)؟ مش كدا؟

أومأ (سعيد) ومد يده يصافحه:

ــ البقية في حياتك يا (آدم).

صافحه (آدم):

ــ اتفضل تعالى، ما ينفعش تمشي كدا علطول.

رد (سعيد) في تلعثم:

ــ لا ما أنا عزيت (رنا) و(دينا) بس أنت ما كنتش موجود ولا (سامي) فنزلت علطول.. كويس إني قابلتك عشان أعزيك.

ابتسم له (آدم) في امتنان، وأشار له والتفت لـ(سلمى) قائلًا:

ــ دا (سعيد).. مهندس اتصالات، وراجل جدع.

ابتسمت (سلمى) لـ(سعيد) في مجاملة، وبادلها نفس الابتسامة، وقال:

ــ أهلًا بيكي.

لم يعد هناك شيء يُقال، فقال (آدم) لينهي الحوار:

ــ سعيكم مشكور يا (سعيد).

ــ لا شكر على واجب.

قالها (سعيد) ومر من جوارهما ليكمل هبوطه لدرجات السلم و...

«مهندس اتصالات ؟!»

تسمر (سعيد) مكانه عندما سمع صوت (سلمى) تناديه بهذا السؤال التأكيدى، فالتفت لها ولـ(آدم) الذي ظهر الاستغراب في ملامحه كذلك، وأجابها (سعيد):

ــ أيوة!

ابتسمت (سلمى) في دهاء:

ــ وشاطر في مجالك ؟!

رفع (سعيد) حاجبيه وهو ما زال لا يفهم:

ــ آه، جدًّا في الواقع، أنا شغال في جريدة والدتي، (الغروب).

ضحكت (سلمى) والتفتت لـ(آدم) الذي ما زال يحاول أن يفهم، وقالت:

ــ أهو جالنا لحد عندنا اللي كنت بقولك هيساعدنا!

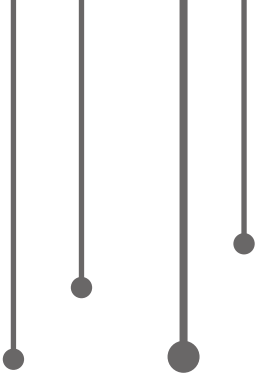

هل اختار (آدم) أن يعصي؟

عالم جديد

الجمعة، الثامن من ديسمبر عام ٢٠٢٣.

السادسة مساءً..

ارتدت (رنا) النقاب لأول مرة في حياتها، النقاب بالنسبة لها عالم جديد تجهله، ولا تفهمه، عالم غامض تكرهه ولا تحاول الاقتراب منه!

حاولت ألا تفكر فيما تفعل، فمنذ أسبوع واحد كانت ترى نفسها آخر إنسانة على وجه الأرض يمكن أن ترتدي هذا الزي، ربما تراه (دينا) زي ديني يستر الأنثى ويقربها إلى الله ويحافظ عليها، لكن بالنسبة لها هي فهو خيمة سوداء متحركة ويمثل إهانة مباشرة لعقلية المرأة، لماذا تتخفى وراءه؟ هل كونها امرأة يتلخص في جسد يثير الرجل فيجب إخفاؤه؟!

بالتأكيد هي أكبر من أن يتم تلخيصها بهذا الشكل!!

لكنها ارتدته، ارتدته رغمًا عنها، يومًا ما ستعتاده.

هل ستكمل حياتها على هذا المنهج؟! هل سيظل (حازم) زوجها حتى يأتيها اليقين؟!

لا يمكن أن تتخيل هذا.. هي تعلم أن العصمة في يد (حازم)، وأنه كتب في عقد الزواج عدة شروط حسب ما يكفل له القانون الجديد، تقوي من موقفه حتى لا تتمكن يومًا من أن تخلعه.. تأكد (حازم) من موقفه القانوني ليضمن القانون في صفه.. لا يمكنها أن تفكر في هذه الأمور الآن وهي تهبط من السيارة مرتدية النقاب، وتدخل قاعة (الخير) متأبطة ذراع شقيقها (سامي).

داخل القاعة رأت (رنا) الكثير من المعازيم، ورأت العروسة الثانية (سلمى)، ولكن على عكسها، كانت ترتدي زيًّا متألقًا وتبدو جميلة، وينساب شعرها خلفها في نعومة.. كانت تبدو كعروسة!

بمجرد النظر إلى المعازيم يمكنك أن تستنج أيهم من طرف (حازم) وأيهم من طرف (سلمى) أو (آدم)، هؤلاء يرونهن متبرجات، وهؤلاء يرونهن رجعيات، الأمر يدعو للسخرية حقًّا، ولكن (رنا) لم تكن في أفضل حالاتها!!

«تُبنا إلى الله ورجعنا إلى الله وندمنا على ما فعلنا".

مضى (سامي) على عقد زواج شقيقته (رنا) من (حازم)، بينما أمسك (آدم) بيد (حازم) ووضع العم منديلًا على أيديهم، وواصل المأذون الشعائر الدينية:

«وعزمنا عزمًا أكيدًا على ألا نعود إلى المعاصي أبدًا وبرئنا من كل دين يخالف دين الإسلام».

وقفت (سلمى) بجوار (رنا) و(دينا) وبعض السيدات في ركن بعيد نوعًا ما، ولم تبدُ على (رنا) أي ملامح فرحة، و(حازم) يكرر خلف المأذون:

ـ «بعد أن استخرت الله العظيم»

احتضنت (دينا) شقيقتها في حب:

ـ ألف مبروك يا حبيبتي، ربنا يرزقكم بالذرية الصالحة.

وأكمل (حازم):

ـ «وجئت إليك، يا أستاذ (آدم)، طالبًا منك، يد موكلتك، (رنا حسن غنيم)، البكر الرشيد»

خرجت من (سلمى) ضحكة خافتة ساخرة عند سماعها للجزء الأخير من العبارة، فالتفتت لها (رنا) في حركة حادة، بينما قال (آدم) مرددًا:

ـ «وأنا توكلت على الله العظيم، وزوجتك، يا (حازم)، موكلتي، (رنا حسن غنيم)، المعروفة لك، زوجة شرعية».

تركت (رنا) الكثير من الفتيات والسيدات تحتضنها، دون إبداء أي استجابة، ظانين أن هذا بسبب فقط وفاة والدها، بينما أقبل الكثير من الرجال على (حازم) يصافحونه في حرارة مباركين له.

«السابعة مساءً»..

اقترب عم (سلمى) وجلس في مكان (حازم) ممسكًا بيد (آدم) ليكرروا نفس الشعائر مرة أخرى، ولكن هذه المرة (آدم) هو العريس.

أفضل كلمات نطق بها طوال عمره:

ــ طالبًا منك، يد موكلتك، (سلمى عاصم)، البكر الرشيد، المعروفة لي، زوجة شرعية.

كيف لهذه الكلمات أن يكون لها مفعول السحر ؟!

كيف أصبح يمتلكها أمام العالم كله بمجرد ما قال ؟!

الآن أصبحت (سلمى) ملكه، يااااه، كم انتظر هذه اللحظة ؟!

ولكن كم دفع من أجلها ؟!

وكم سيكلفه ذلك فى المستقبل ؟ ؟

«بارك الله عليكما».

قالها المأذون ليعلن رسميًّا (سلمى) زوجته، واقترب (سامي) منه يحتضنه في قوة، وقال في حب حقيقي:

ــ ألف مبروك يا (آدم).

ــ الله يبارك فيك يا (سامي).

قال (سامي) في لهجة حزينة:

ــ هتوحشني!.. أنا طالع على القطر دلوقتي.

نظر له (آدم) في حزن:

ــ يعني خلاص ؟!

هز (سامي) رأسه في استسلام:

ــ ركز أنت في حياتك ومستقبلك.. (سلمى) بجد إنسانة عظيمة!.. ما كنتش اعرف إنها بتحبك كدا.. أنت اخترت صح.. أنا طلعت غلطان فى الحكم عليها.. اللي تصبر عليك كل السنين دي وفي الآخر تتجوزك وأنت ما حلتكش ولا جنيه تبقى بنت أصول وبتحبك بجد.. يا بختك بيها.

شعر (آدم) بنار بداخله؛ لأنه يعرف أن هذه الكلمات غير صحيحة، فلا هو يستحق هذا الحب من شقيقه، ولا (سلمى) كذلك تستحق هذا المديح منه، ولكنه تظاهر بالتأثر ورد:

ــ وهتعمل إيه مع (ملك)؟!

لم يجبه (سامي) وظهر عليه حزن دفين، وقال:

ــ مش كل حاجة عايزينها لازم نوصلها!.. كل حاجة في الدنيا دي قسمة ونصيب، وأنا واضح إن نصيبي قليل.. سلام يا اخويا.

ابتعد (سامي) واتجه ناحية (رنا)، التي اقتربت منه في حب استطاع أن يراه ويشعر به على الرغم من النقاب الذي يحول بينهما، وقال:

ــ ألف مبروك يا حبيبتي.

احتضنته (رنا) وهي تبكي:

ــ هتوحشني أوي يا (سامي).

ــ أنتِ أكتر.

ثم نظر لها قائلًا وعيناه تمتلئ بالدموع:

ـ ممكن أشوف وشك قبل ما اسافر ؟!

رفعت النقاب عن وجهها فورًا، فرأى ملامحها الجميلة والدموع في عينيها، فابتسم قائلًا في حب:

ـ خلي بالك من نفسك!.. أنا مقدر اللي أنتِ عملتيه عشان (عمر).. بس التنازل له حدود، إوعي يا (رنا) تسيبي (حازم) يأذيكي!.. والله اجيله أكسرله رجله من آخر الدنيا!

ضحكت هي والدمعة تذرف من عينيها:

ـ يا حبيبي ما تقلقش عليا، السلام أمانة للأسكندرية.

ابتسم ابتسامة أخيرة، ثم اتجه ناحية (دينا) واحتضنها ليودعها، بينما عادت (رنا) تشد النقاب مرة أخرى على وجهها.

أتى (حازم) مقبلًا ناحيتها وجذبها بعيدًا، ليقول لها في غضب:

ـ أنتِ إيه اللي عملتيه دا ؟

توترت (رنا) وهي تجيب:

ـ عملت إيه!

ـ إزاي ترفعي النقاب عن وشك ؟!

تلجلجت (رنا) وهي تقول:

ــ وإيه المشكلة؟ دي أول مرة ألبس النقاب أصلًا و...

قاطعها في حدة:

ــ (رنا)! أنتِ بقيتي مراتي، وبلاش أوريكي وشي التاني!.. حظك خدمك إن في ستات كتير زوجات أصحابي منتقبات هنا وما حدش خد باله إنك أنتِ مراتي.

شعرت (رنا) بالخوف رغمًا عنها:

ــ خلاص خلاص، أنا ما كنتش اعرف إن الموضوع هيضايقك أوي كدا!

قال بلهجة آمرة:

ــ يلا تعالي ورايا نروح بيتنا.

اعترضت هي قائلة:

ــ عايزة أروح المستشفى اشوف (عمر) الأول.

ــ هنروحله لما يقوم بالسلامة، ولما اقولك يلا يبقى يلا يا (رنا).

تبعته (رنا) لخارج القاعة، ومن بعيد تابعت (سلمى) المشهد في استمتاع، بينما تصافح زميلاتها في غرور وزهو.

وخارج القاعة، ركب (حازم) سيارته الفاخرة مع (رنا) وقال للسائق:
ـ على البيت يا (فؤاد).

بينما ركب (سامي) سيارة مجاورة، تجلس صديقته (مي) على مقعد القيادة داخلها، والتفتت قائلة له في رجاء:
ـ أنت متأكد إنك عايز تروح محطة القطر من دلوقتي ؟!

وضع يديه في جيبه وأغمض عينيه وأراح رأسه على مسند المقعد، وأجاب:
ـ أيوة يا (مي).

هتفت به في عصبية:
ـ إزاي مش عايز تودع (ملك) قبل ما تسافر ؟! أنت عندك فكرة هي في بيتها منهارة إزاي دلوقتي ؟!

فتح عينيه ونظر لها في مزيج من العتاب والحزن:
ـ أنا لو شوفتها يا (مي) أنا اللى هنهار، أنا مش هقدر اودعها واقولها إني غالبًا مش هشوفها تاني، مش هقدر اقولها إني فشلت إني احافظ عليها، أرجوكى يا (مي)، سوقي يلا وديني على محطة القطر.

لم تستطع هي أن تتجادل معه:
ـ حاضر.
وانطلقت بالسيارة، بينما عاد هو يغمض عينيه في أسى.

«الثامنة مساءً»..

هتف (آدم) بحرارة وهو يصعد درجات سلم منزل (سلمى):

ــ يلا يا (سلمى) بسرعة.

ضحكت هي:

ــ حاضر حاضر أنت مستعجل على إيه؟ أنا أمي هتقعد عند خالتي تلت أيام.

ــ بقالي سنين مستني الليلة دي وتقوليلي مستعجل على إيه؟!

كانا قد وصلا أمام باب شقة (سلمى)، عندما اهتز هاتفها المحمول، فأخرجته من حقيبتها وظهر عليها الاهتمام:

ــ دا (سعيد)!! لازم أرد!

صدمها (آدم) برد غير لائق، فرفعت نظرها له في دهشة، وقالت مبررة:

ــ الموضوع مهم يا (آدم)، استنى بس!

وأجابت الاتصال:

ــ آلو، أيوة يا (سعيد)، أنت بتتكلم جد؟!

كان (آدم) يكتم غيظه، حتى سمع (سلمى) تقول عبر الهاتف:

ــ طب بص، أنا هبعتلك عنوان البيت في رسالة عشان تجيلي حالًا.

عاد (آدم) يكرر نفس اللفظ غير اللائق في غضب، وأنهت (سلمى) المكالمة ونظرت له في حنق:

ــ إيه يا (آدم)؟! أنا غلطانة يعني إني بفكر في مستقبلنا؟!

هتف في غيظ:

ـ ما اللي بفكر فيه برضه دا مهم!

ابتسمت على الرغم منها، وقالت وهي تفتح باب الشقة:

ـ يلا بس ندخل الشقة ونغير هدومنا عشان (سعيد) زمانه جاي.

قال في حدة:

ـ أنا مش هدخل (سعيد) بيتنا غير لما أعمل كل اللي أنا عاوزه الأول!

ثم أسرع يدخل خلفها وأغلق خلفهما الباب، وكانت الشقة مظلمة، ففاجأها هو هاجمًا عليها يعتصر شفتيها في اشتياق وحرمان، فحاولت هي أن تفلت منه قليلًا، لتتمكن من أن تتكلم وتقول:

ـ طب نفتح النور طيب!

ـ هششش!

أخذ يلحس رقبتها في جنون، وأخذت هي تتأوه في استمتاع، كان يلهث في سعادة وهو يديرها ليعطي ظهرها له، ثم جذبها بقوة على الرغم من يده المصابة التي لم تتعافَ بشكل كامل بعد، ورفع ملابسها والتصق بها من الخلف، فخرجت منها تأوهات وهي تقول بصوت مثير:

ـ (آدم)!

أزاد صوتها إثارته!!

حاول عقله الباطن أن يبعد عقله عما يفعل، عن طريق تذكيره بما تسبب فيه لأسرته، ولكنه نفض عن باله هذه الأفكار..

اخرس أيها العقل الباطن، فلتصمت يا ضميري، ستكون هذه أفضل ليلة في عمري على الرغم من أنف الجميع!

«الثامنة ونصف مساءً»..

توقف السائق (فؤاد) بالسيارة أمام هذه الفيلا الصغيرة، ليهبط من السيارة (حازم) أولًا ثم ساعد (رنا) على الهبوط، ومد ذراعه لها لتتأبطه، وسار معها ليدخلا الفيلا.

بمجرد دخولهما من البوابة الرئيسية قال (حازم):

ــ تقدري تكشفي وشك دلوقتي.

رفعت النقاب عن وجهها، فابتسم لها في حنان:

ــ آسف على اسلوبى في القاعة.. بس أنتِ عصبتيني.

تقبلت هي الاعتذار فورًا لمجرد أن تنهي الحوار:

ــ لأ مفيش مشكلة.

ــ يلا نتوضا عشان نصلي ركعيتن لربنا عشان يباركلنا في حياتنا اللى هنبدأها النهاردا يا حبيبتي.

بمجرد استخدامه للفظة «حبيبتي» تذكرت (سعيد).. لكنها ردت فورًا:

ــ حاضر هدخل اتوضا.

ابتعدت عنه إلا أنه أمسك ذراعها وأوقفها، فالتفتت له في استغراب،

فقال مبتسمًا:

ـ ليه ما قلتيش «يا حبيبي»؟

ابتسمت (رنا) في مجاملة وقالت:

ـ هتوضا يا حبيبي.

ابتسم في سعادة وترك ذراعها، فاتجهت هي باحثة عن دورة المياه ودخلتها..

وقفت (رنا) حزينة أمام المرآه تتأمل هيئتها بالنقاب.. ثم لم تلبث أن خلعت النقاب سريعًا، فهي لم تطق ارتداءه طوال هذه المدة، وغسلت وجهها الجميل، ثم غادرت دورة المياة مرتدية عباءة مناسبة للصلاة.

لم تتوضأ (رنا)، ولكنها قالت له:

ـ خلاص اتوضيت.

هتف في حماس:

ـ أمي وأختي جايين دلوقتي وهصلي بيكم إمام.

ردت في دهشة:

ـ هم هيجوا النهاردا؟!

ـ هم عايشين هنا عندى أساسًا.

ـ أيوة عارفة، بس مش المفروض يسيبونا يومين على الأقل لوحدنا ؟!

صاح في غضب:

ـ ما فيش حاجة اسمها المفروض، هما كانوا جايين في عربية ورانا وزمانهم هيوصلوا اهو.

لم يكد ينهي عبارته حتى دخلت والدته وشقيقته، كانت هذه هي المرة الأولى التي ترى فيها (رنا) وجه والدته الصارم، بينما كانت شقيقته الصغرى غير منتقبة من الأساس، فكانت لم تكمل عامها السادس عشر بعد، وكانت ترتدي الحجاب، وكانت ملامحها جميلة كوالدتها على الرغم من صرامتها..

نظرت والدته لـ(رنا) في احتقار وغضب، فهي لم تنسَ آخر مقابلة بينهما بالطبع!

بينما كانت شقيقته تنظر لـ(رنا) في ريبة، هل ستقضي (رنا) عمرها في هذا المنزل ؟!

ليست لونهم ولا تشبههم في شيء.. كيف سيكون شكل الأيام المقبلة ؟!

ماذا يخبئ لها مستقبلها ؟!

أهم ما في الأمر الآن هو أن تمر الشهور السبعة المقبلة على خير حتى تنجب ابنها في هذا المنزل ظنًّا من الجميع أنه ابن (حازم).. هذا هو التحدي الذي تواجهه الآن!

«التاسعة مساءً»..

استيقظ (سامي) في مقعد السيارة، عندما هزته (مي) قائلة:

ــ (سامي)، فوق كدا واصحى!

فتح عينيه واستغرق ثواني حتى ينظر من خارج زجاج السيارة، فتفاجأ أنها لم تصل به إلى محطة القطار!

التفت لـ(مي) ورمقها بنظرة قاسية، فقالت هي في أسف:

ــ أنا آسفة، بس كان لازم اعمل كدا.

في أعماقه شعر بالسعادة أنه في هذا المكان بدلًا من محطة القطار، أمام منزل (ملك)، قالت (مي):

ــ أنا بعت لـ(ملك) رسالة وهي خارجة حالًا من البيت، انزل من العربية يا (سامي).

هز رأسه في استسلام، وهبط من السيارة في شوق، لا يمكن أن ينكر سعادته العظيمة أنه سيرى (ملك) الآن، على الرغم من خوفه من الوداع، ومن أن ينظر في عينيها شاعرًا أنه قد خيب أملها،..

خرجت (ملك) في لهفة من منزلها، وأقبلت عليه في لهفة واشتياق ليس لهما حدود، (سامي)!

لم يقوَ على النظر في عينيها وظل ناظرًا أرضًا.

ــ أنا آسف يا (ملك).

هزت رأسها معترضة وهي تبكي:

ــ ما تتأسفش، ما فيش حاجة تتأسف عليها.

سالت دموع (سامي):

ــ لا، لازم اتأسف، أنا وعدتك إني مش هسيب حاجة تفرق بينا، وما كنتش قد الوعد.

قالت في عشق وإصرار كالطفلة:

ــ ومين قال إني هسيبك ؟! أنا جاية معاك اسكندرية!

صاح بها:

ــ (ملك)! اعقلي كلامك!! أنا عايزك توعديني إنك هتنسيني!

ــ (سامي)!! أنا هاجي معاك وهنام نومتك وهعيش عيشتك و...

ــ أنا هبقى هربان يا (ملك)، أنا هنام في الشارع.. يا حبيبتي أنا عايزك تقوليلي حاضر وبس، ما ينفعش تفضلي مستنياني.. ابن عمك بيحبك وهيحافظ عليكي و...

قاطعته في حرقة وهي تمسح دموعه:

ــ اسكت يا (سامي) ما تكملش.. أنا هفضل مستنياك، ولا عمرى هيأس.. أقسملك بالله، أقسملك بحبي ليك.

ــ لأ يا (ملك)، أنا بعفيكي من أي وعود.. ما ينفعش تستني واحد مش هيرجع، أنا حياتي انتهت وبكرة هيبقى اسمي مطلوب القبض عليه.. لازم توعديني إنك هتنسيني وتعيشي حياتك مع واحد يستحقك، مع واحد قوي يقدر يحميكي، مش ضعيف زيي، لاز...

وضعت سبابتها على فمه لتمنعه من تكملة كلامه، ورفعت بيدها الأخرى رأسه حتى ينظر لها وهي تقول:

ـ أنت بتطلب مني ابقى خاينة؟! أنا مش خاينة يا (سامي) ولا قليلة الأصل، أنا بحبك!.. ولو ما رجعتليش يبقى هعيش لوحدي لحد لما اموت، كفاية عندي إني هكون عايشة رافعة راسي، إني ما بقتش لحد غيرك يا (سامي).

ودون تفكير قفزت فجأة في حضنه، ولفت ذراعها حول رقبته، فضمها له في قوة، وهو يبكي..

كم تمنى هذا الحضن!!

كم تمنت هذا الحضن!!

هل هو حضن الوداع؟!

هل هو حضن النهاية؟!

همست في أذنه وهي في حضنه:

ـ الدنيا صحيح قدرت تبعدنا، بس إياك تقول إنك ضعيف، أنت ممكن تكون خسرت جولة، لكن مستحيل تخسر الحرب.. هترجع وأنا مستنياك.. ومش هكون غير ليك.

كالمعتاد كان لكلماتها مفعول السحر، فرد عليها في حرارة:

ـ هرجعلك يا (ملك)، وعد!

استمر الحضن طويلًا قبل أن ينزلها أرضًا في حنان، وقالت:

ـ يلا عشان أوصلك للمحطة.

ـ لا يا (ملك)، مش عايزك تيجي معايا لهناك.. ادخلي بيتك عشان خاطري، وأنا هروح مع (مي) المحطة.

ـ يا (سامي) هـ..

ـ عشان خاطري!

أومأت (ملك) برأسها مستسلمة لإرادته، ومسحت دموعه للمرة الأخيرة:

ـ سلام يا حبيبي، هشوفك قريب.

ـ سلام يا حبيبتي، هشوفك قريب.

عادت (ملك) إلى منزلها وأغلقت خلفها الباب في بطء، بينما ظل هو يمتأمل منزلها قليلًا وذرفت عيناه دمعة أخيرة، قبل أن يركب السيارة وتنطلق به (مي) إلى محطة القطار.

«التاسعة مساءً»..

في منزل (سلمى) جلس (سعيد) أمام حاسوب (سلمى) يقول في حماس:

ـ كدا بقى كل اللي (حسام دياب) بيعمله في موبايله هتقدري تشوفيه وتسمعيه!

ظهر الذهول على وجه (آدم)، بينما قالت (سلمى) في سعادة:

ـ بجد مش عارفة اقولك إيه.. شكرًا جدًّا يا (سعيد).

نهض هو استعدادًا للمغادرة وقال:

ـ اللي اتفقنا عليه بقى.

ناولته (سلمى) مبلغًا لا يقل عن عشرة آلاف جنيه، وقالت:

ـ تسلم يا (سعيد).

تناولهم (سعيد) وقال لـ(آدم):

ــ ألف مبروك يا (آدم)، ما كنتش اعرف إن كتب كتابك النهاردا والله.

رد (آدم):

ــ أنا كنت فاكرك هتيجي والله، خصوصًا إني قُلت أكيد مش هتفوت كتب كتاب (رنا).

تجمد الدم في عروق (سعيد) وظهرت صدمة رهيبة على وجهه، فقالت (سلمى) في استغراب:

ــ في حاجة ولا إيه ؟!

حاول (سعيد) أن يتظاهر أن كل شيء طبيعي حتى ينصرف، وقال:

ــ لا ما فيش، لو احتاجتوا حاجة تانية ابقوا كلموني.

وانصرف بسرعة مغادرًا دون أن ينتظر ردًّا، بينما التفت (آدم) لـ(سلمى) في حيرة:

ــ ممكن بقى تقوليلي بتتجسسي على (حسام دياب) ليه ؟! وإيه المبلغ اللي ادتيه لـ(سعيد) دا كله ؟!

ــ أنت تعرف يعني إيه قدر يعمل hack على موبايل (حسام دياب)؟! دا يستاهل أكتر من كدا أصلًا، وبعدين دا مش كتير بالنسبة للي أنا ناوية عليه!

ــ طب أنا ممكن افهم ليه ما نشتريش شقة نعيش فيها بدل ما نعيش في شقة أمك هنا ؟!

قالت (سلمى) في حماس:

ــ عشان الفلوس هندخل بيها شركاء مع (حسام دياب) في قناة

(المستقبل).

هتف في استنكار:

ــ إيه ؟! وهو هيوافق أصلًا ؟!

قالت في مكر:

ــ أومال أنا بتجسس على موبايله ليه ؟!

هتف وقد بدأ يشاركها الحماس:

ــ لو فعلًا بقينا شركاء في القناة هتبقى حاجة عظيمة.

هتفت (سلمى):

ــ هيحصل.. شكرًا يا حبيبي بجد على الفلوس دي!.. أنا بيتهيألي الصدفة اللي خلت الفلوس دي تقع تحت إيدينا كانت أحلى هدية من القدر عشان نكبر ونحقق أحلامنا.

زال الحماس من (آدم) تمامًا، وهو ينظر لـ(سلمى) التي واصلت الحديث، ولكنه لم يعد منتبهًا لما تقوله.. هل هي حقًّا تصف موت أبيه بهدية من القدر ؟!

وأن كل الكوارث التي حدثت لأسرته الفترة الماضية مجرد صدفة أدت لوضع يدهم على هذا المال ؟!

فكر (آدم) في (سامي) الهارب من العدالة حاليًّا، وفي (عمر) ووضعه المزري، شعر (آدم) بأنه حقير جدًّا، حاول جاهدًا أن يبعد هذه الأفكار.. حاول أن يفكر فقط أنه مع حبيبته الآن وأن المستقبل أمامهما.. حاول أن ينظر للإيجابيات والتظاهر أن كل شيء سيكون بخير، لكنه لم يعد

قادرًا..

يحتاج إلى الذهاب لأبيه!

يحتاج هذا بشدة!

قال (آدم) في صرامة:

ــ أنا رايح مشوار يا (سلمى).

قالت وهي ممسكة بهاتفها المحمول في انشغال:

ــ ماشي يا حبيبي هستناك.

نظر لها في غضب وغادر المكان فورًا.

«التاسعة والنصف مساءً»..

وحيدة في شقة أسرتها جلست (دينا) أمام مرآة غرفتها، واهتز هاتفها المحمول مستقبلًا رسالة (أحمد):

ــ «أنا جايلك في الطريق اهو، أول لما هقرب هرن عليكي تنزليلي».

أخبرها (أحمد) أنه يريد التحدث في موضوع مهم، وهى مستنتجة مسبقًا ماهية الموضوع، سيطلب يدها اليوم، الأزمة الحقيقة هي أنه يتوقع مقابلتها دون حجابها!!

هل تقوم بخلع الحجاب حقًّا من أجله؟!

أتتخلى عن الحجاب حتى تتزوجه؟!

طوال عمرها لم تكن ترى سوى المتدينين رجالًا، هؤلاء المتحررين اللذين يمرحون مع زوجاتهم العرايا هم لا يعرفون الرجولة ولا النخوة، فكيف استطاع (أحمد) أن يمتلك قلبها؟! لماذا تراه رجلًا جذابًا؟! لماذا

تأتي عنده وترى الأمور بوجهة نظر مختلفة ؟!

تعلم جيدًا أنها إذا قابلته محجبة سيتراجع عن قراره، ولن يطلب يدها!

يجب أن تحسم أمرها الآن، أمامها نصف ساعة فقط.

بينما الحيرة تنهشها، كان أيضًا الخوف ينهش جسد (رنا) وهي تشعر بأنها مثل المهاجر في بلاد غريبة وبعيدة، من كان يتصور أن الأمر سينتهي بها في بيت الزي الرسمي فيه النقاب والجلباب ؟

والخضوع والتكرار والاستسلام هي جيناتهم!!

شقيقة (حازم) الصغرى تختلف عنه كثيرًا، فيبدو أنها من هؤلاء البشر أصحاب الدم الحر المتمردين بطبعهم، مثلها مثل (رنا)، والدته تكرهها بشدة، كانت تنظر لها بشماتة لمجرد رؤيتها لها خلف هذا النقاب.

في ليلتها الأولى مع (حازم)، توقعت (رنا) مسبقًا أن الجنس معه لن يكون مرضيًا لها، ولكنها لم تتصور أبدًا أنه سيكون مقززًا منفرًا بهذا الشكل..

إنه يضاجعها كما يلزمه دينه!

يفكر في الشريعة وهم يفعلونها!

جعلها هذا تراه ضعيفًا هشًّا، فها هو يغلق النور ويسحب الغطاء عليها، ليس من باب الرومانسية كما كان يفعل (سعيد) أحيانًا، ولكن من باب السنة النبوية!!

إنها ترى الرجل المتدين رجولته غير مكتملة!

يظن (حازم) أنها تمارس الجنس للمرة الأولى، لا يعلم شيئًا عن الجنين الموجود داخل بطنها منذ ما يقرب شهرين!

وعلى الرغم منها، أقامت مقارنة بينه وبين (سعيد)..

كان (سعيد) متميزًا حقًّا في العلاقة الجنسية، فكان يجعلها تصل لذروة نشوتها مرات عديدة، وكانت العلاقة تستمر لفترة طويلة، ثم يحتضنها بعدها فترة أطول في صدره العاري فتتحسس عضلات صدره في استمتاع وراحة.. كانت أفضل لحظات حياتها التي لن تتكرر بالتأكيد، فعلى الرغم من رجولته فإنها لم تكن تمتد لأبعد من الفراش.

أما (حازم) فإنه يضاجعها كما لو أن الجنس مهمة يجب إتمامها، كما لو أنه يراها أداة للإنجاب فقط، فهو يبدأ العلاقة الجنسية من نهايتها، دون أي تمهيد أو مداعبة أو رومانسية!

كن رجلًا يا شبه الرجل واستمتع بجسدي..

أرني رجولتك واشعرني بأنني امرأتك..

تبًّا لك!

وكان الحل الوحيد بالنسبة لها حتى تتحمل جسده فوقها لهذه الدقائق القليلة جدًّا التي ستتكرر يوميًّا، هو أن تتخيله (سعيد)..

ولكن هيهات، فالفارق كبير!

«العاشرة مساءً»..

الآن (سعيد) في مكتبه في مبنى جريدة والدته يبكي في ندم، كيف أضاع (رنا) من يده؟!

كان يظن أن هناك فرصة أخرى لعلاقتهم، فإذا بـ(آدم) يصدمه بأنها تزوجت اليوم!!

لم يعد هناك أمل!

دخل (عمر) غرفة العمليات حيث اللحظة الحاسمة، وقال الطبيب لإحدى الممرضات:

ــ خليهم في الاستقبال يتصلوا بأفراد أسرته يبلغوهم إن الحالة دخلت أوضة العمليات.

في الوقت ذاته الذي انتهى فيه (حازم) من معاشرة (رنا) دون أن ينتبه لانفعالات وجهها المنكسرة المغصوبة على أمرها.

وها هو القطار يصل بـ(سامي) للإسكندرية، فيهبط (سامي) بقدميه على تلك الأرض العظيمة مقبلًا على فصل جديد من حياته لا يعرف عنه شيئًا.

وبتركيز شديد راقبت (سلمى) هاتف (حسام دياب) المحمول أثناء استخدامه له مباشرة عن بعد من خلال حاسبها، وأخذت تخطط جيدًا لمستقبلها المهني ومستقبل (آدم) وكيف ستحقق هدفها بهذا المال، وكيف يجب عليها أن تحرص على ألا تهدره هباءً، إنها فرصة لا تأتي فى العمر مرتين..

وركبت (دينا) سيارة (أحمد) مبتسمة له في خجل، فنظر لها في إعجاب متأملًا ملامحها الجميلة، وشعرها الذي يزين وجهها وقال: « شعرك جميل أوي».

حسمت (دينا) أمرها، فأقنعت نفسها أن خلعها للحجاب سيكون وسيلة للزواج من (أحمد) لتتمكن من جعله يعود إلى دينه، ثم ترتديه مرة أخرى بعد ذلك.. إنها تعرف جيدًا حجم ثواب من يُدخل أحدًا للإسلام، فأقنعت نفسها أنها تخدم دينها لا تتخلى عنه!

وفي غرفتها وحيدة، أخذت (ملك) تبكي بحرارة.. متى سترى (سامي) مجددًا ؟!

بينما في منزل عمها.. تحدث ابن عمها (خالد النويهي) عبر هاتفه المحمول، وصاح في غضب وحنق:

ــ فلوس إيه اللي عاوزينها ؟! ما كانش هو اللي سايق يا بهايم، وأخوه هو اللي في المستشفى بداله!

أما في المقابر، جلس (آدم) بجوار قبر أبيه باكيًا:

ــ أنا آسف على كل اللي عملته.. أنا آسف!

الحب الحقيقي لا يدفعك ناحية الشر أبدًا.. دا اللي كنت بتقوله دايماً يا بابا.. بس أنا ما قدرتش.. ما قدرتش أشوفها بتضيع مني وما استغلش الفرصة.. أنا ضعيف من غيرها أوي.

أنا عارف إن عمرك ماهتسامحني.. ولا ربنا هيسامحني.. ولا أنا هسامح نفسي!

أنا ملعون بيها.. ودا السبب في كل اللي حصل!

واشتد بكاؤه:

ــ نفسي ترد عليا وتقولي سامحتك، نفسي ضميري ما يموتنيش وينهش فيا وأنا شايف اخواتي حياتهم بتتدمر قدامي بسببى.

أنا حتي مش عارف أحس إني عملت كدا عشان حد يستاهل!

نفسي أحس إني راضي عن نفسي!.. طول عمري وأنا حاسس بالغيرة، طول عمري وأنا حاسس إني مش كامل.. كان نفسي ابقى سندهم من بعدك..

بس إزاي وأنا مش عارف أصلب طولي ؟!

اتفرقنا.. اتفرقنا ويا عالم إمتى تاني هنتجمع.. و كله بسببي، بسبب خيانتي وحقارتي..

أنا مش مبسوط يا بابا!

أنا ملعون.. ملعون.. أنا مطرود من رحمة ربنا.

رد عليا ياحسن ياغنيم، سبتني ورحت فين!!

تأوه بحرقة باكيًا، وأخذ ينادي في رجاء وتوسل، ولكن ما من مجيب.

دمت ملعونًا يا (آدم)، فلا من راحة تجدها، ولا من تبرير يهدئ من روعك، ولا من شفاء لمرضك، ولا من فرج للعنتك الأبدية.

لعنتنا جميعًا.

تمت

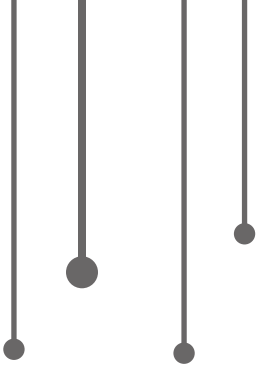

وللحديث بقية

في:

لعنة حواء

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution